

نقـولا يوسف

الشاعر الوجداني محمد الاسمر

بقلم نقـولا يوسف

* * *

لمع اسم الشاعر الكاتب محمد الاسمر منذ شبابه حين كانت الصحف العربية الكبرى تنشر قصائده ومقالاته .. وخلف لقرائه مـــن الكتب المطبوعة ثلاثة دواوين شعرية ، وكتابا من المقالات الاجتماعية ــ ثم لـم تجمع بعد بقية مخطوطاته ومنشوراته .. وكان موفقا في الجمع بـين المؤثرات الازهرية والدينية ، وبين مؤثرات عصره واحداثه وتطوراته . فكان في شعره ونثره مصورا لما حوله من محاسن ومساوىء ، وداعيا الى الاصلاح والخير والاخاء والبر في صدق فني وصياغة سلسة .. شاعرا فنانا في كتاباته وحياته ..

وولد محمد الاسمر بن الحاج محمد الاسمر بمدينة دمياط فـي ٦ من نوفمبر عام ١٩٠٠ ونبغ من اسرة ((الاسمر)) المتاصلة في هــذا الاقليم والمتفرعة خارجه .. قيل انها تنتمي الى المتصوف المغربي فاتح بن عثمان الاسمر التكروري الملقب ((بابـي المعاطي)) ــ من العطـاء والجود ــ وكان قد جاء من مراكش ونزل بدمياط ، واقـام بمسجدها وتوفي بها عام ١٢٩٦م مخلفا ولدين وليس لهما قوت يوم وليلة ..

وتلقى في صباه مبادىء الدين واللغة العربية والحساب التجاري ((بمدرسة الحزاوي)) بدمياط وبها بدا تذوقه للادب مـــن محفوظات الشعر والنثر .. وكان بين معلميه الشاعر علي العزبي .. وتخرج في هذه المدرسة الابتدائية عام ١٩١٤ واشتغل خلال الصيف بعمل كتابي في احد المتاجر براس البر مصيف دمياط ..

وفي عام ١٩١٥ لحق بمعهد دمياط الديني ــ احـــد الاقسام الابتدائية للازهر ــ وتتلمذ على شيوخه في اصول الدين والفقه واللغة حتى عام ١٩٢٠ ويصف لنا الاسمر حياته الباكرة في هذا المعهد يومذاك فيما نشر من ذكريات : (١)

((.. وكانت جماهير الطلبة تصلي صلاة الفجر بجامع البحــر (بدمياط)ــ الذي هو مسجد ومعهد علمي معا ــ وبعد صلاة الصبح ينكبون على (المتون) وهي مؤلفات موجزة يحفظونها في صوت مرتفع كدوي النحل . وقبيل ميعاد الدرس يجتمعون في حلقات صغيرة ، كل حلقة فيها طالب ذكي او طالبان ذكيان . وتعالج هذه الحلقة فهم الدرس الذي سيشرحه الشيخ ــ اعني ان الطلبة تعتمد على عقولها في فهــم دروسها ــ تحفظ المتن ثم تقرأ عليه الشرح . وما استعصى فهمه مـن الشرح تفسره الحاشية . وما يستعصى فهمه مـــن الحاشية يفسره التقرير ، كل ذلك يقوم به الطالب وحده . ثم يحضر حلقــة درس الشيخ ، فيستمع له في كثير من المحبة والادب والاجلال . وما كـان ذلك ليمنع الطالب الازهري النابغ من ان يناقش في تحضير دروسنـا ونحن طلبة ، كانت ترهقنا بسبب استعجالنا فهم الدرس بانفسنا قبل ان نفهمه من شيخنا ، ولكنها كانت تنمي في الطلبة حب الاستقــلال والاعتماد على النفس)) ..

وفي تلك السنوات التي قضاها شاعرنا في هذا المعهد العريـق ومكتبته العربية العامرة ، زاد محصوله من اللغة ، واطلع على غــرر الشعر القديم ، وشواهد النحو المنظومة وشروحها وما يصحبها مـــن قصيدة الشاهد ، كما ألم بعلم العروض والقوافي ، مما ساعده عـلى صقل منظوماته التي كانت تمليها موهبته الشعرية الكامنة ، وبدأ منذ عام ١٩١٧ يسمع ادباء مدينته ما نظم من القصائد وان كانت لم تـزل يسودها الاحتذاء والتقليد ..

اما خارج المعهد فكان يحتويه عالمه الخيالي الخاص ــ كانت هناك القصص والحكايات الشعبية والروايات الموضوعة والمعربة ــ من الاولى قصص عنترة وابي زيد الهلالي ، وسيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الهمة ، والف ليلة وليلة .. وما اشبه .. ومن الثانية قصص شرلوك هولز واللص الشريف وروكامبول ونحوها .. قيل : ((استهوته ــ وهو غلام ــ قصة ابي زيد الهلالي التي كان يسمعها على الربابة في مقاهي دمياط ، واقفا على ابواب هذه المقاهي حيث كان لا يجرؤ على دخولها. فلما شب قليلا ونهاه والده من القرب مـن هذه المقاهي ، استغنى عن الوقوف ، بشراء تلك القصص .. وربما عكف على الكتاب يوما كامـلا الا ساعات قليلة ينامها .. (٢))) .

هذه الحكايات والروايات كانت ولا شك تضرم مخيلته المراهقة ، وتدفع بها الى التحليق في فضاء الخيال الشعري .. وتكشف له عن عوالم جديدة لديه ..

ولا شك أيضا ان البيئة التي ولد فيها شاعرنا ونشا ، كان لهـا أثر واضح في تنمية استعداده الشعري ــ مثلما كان في ذلك العـــدد الوافر من الشعراء والفنانين الناشئين فيها . كل بقدر ما وهب مـــن هذا الاستعداد ، فهي بيئة غنية بصورها الطبيعية الجميلة حيث البحر والنيل ، والريف والخضرة والنخيل . وهي غنيــة بتراثها الديني والفني والادبي المتوارث جيلا بعد جيل ، ولم يفت ملاحظة هذا الاثـر جل من كتب عن الاسمر او عن مواطنيه من الشعراء ، فيقول مقــدم ((ديوان الاسمر)) ١٩٥٠ ــ : (٣)

((نشأ شاعرنا في رحاب دمياط وراس البر حيث النيل الصامت

١ ــ عن مقالة لمحمد الاسمر بعنوان : ((خمسون عاما في حيـاة الجامعة الازهرية)) ــ بجريدة ((المصري)) بالقاهرة ١١ فبراير ١٩٥٠ .

٢ ــ مقدمة ديوان الاسمر : ((بين الاعاصير)) لمحمد عبد المنعم خفاجي ــ ١٩٥٩ ــ ص ٧ ــ ٣٦ .

٣ ــ مقدمة ((ديوان الاسمر)) ١٩٥٠ ــ لعبـد الحميد فهمي مرسي ــ وكلمة عنه لقاسم مظهر .

المتزن ، وحيث البحر الابيض المتوسط الصائح الصاخب فاستمد من هذا ومن ذاك الكثير من اخلاقه فهو يميل الى الهدوء والاعتدال في اكثر احواله ، كانه النيل في وقاره واتزانه . وقد تراه يصدع بالحق في صراحة واخلاص كانه البحر في هياجه وصخبه .. يضم بين جنبيه قلبا كبيرا ... ومن ابرز صفات شاعرنا الوفاء وحبه العظيم لاصدقائه. وهو مطبوع على الكرم والرقة ودماثة الاخلاق وحب النظام .. وهو صاحب ذوق سليم يتخير احاسن الاشياء من ماكل وملبس وغيرها مما يتصل بشؤون حياته » ..

ثم كان في تلك المدينة يومذاك عدد من الشعراء الشباب ، يجمع بينهم ميل الى تذوق الشعر ونظمه .. فكانوا يلتقون في الامسيات ويتناشدون اشعارهم ، ويتنافسون في النظم الفوري ، ويتبادلون النقد ، وكان هذا شاحذا لملكاتهم .. وتعرف الاسمر الى احدى تلك الندوات ، وكانت تعقد في دكان شاعر هناك ـ فهيم القللي (١٨٩٦ ـ ١٩٥٩) ـ تاجر الملابس الافرنجية ، وصاحب ديوان من الشعر لم يطبع . وثمة يجتمع من اولئك الشعراء : طاهر الجبلاوي ، والمرحومون : الاسمر ، ومحمد البدرين محمدين ، وامين المعداوي ، وفهيم القللي .. وقد يمر بمجلسهم احيانا شعراء يصغرونهم في السن قليلا ، مثل طاهر الطناحي ، ومحمود عبد الحي ، والشاعر الفارسكوري محمد مصطفى حمام .. وغيرهم ..

ويحدثنا الشاعر طاهر الجبلاوي عن ذكريات هذه الندوة التي عرف فيها محمد الاسمر ايام صباه في قوله : (٤)

« كنا نمر بندوتنا الصغيرة في دكان فهيم القللي بدمياط كعادتنا كل ليلة ، ونتناول الحديث في الشعر والادب . ونمى الينا ذكر طالب شاعر يدرس بالمعهد الديني على السنة بعض رواد الندوة . فاشتقنا الى رؤيته ، ثم دعوناه الينا فلبى الدعوة ، واقبل علينا ذات يوم فتى في مقتبل الشباب ، نحيل الجسم في غير ضعف ولا فتور ، تتوسم في وجهه الصغير احساسا سريعا ينم عما يختلج بوجدانه من المشاعر، وترى على محياه الرقيق ابتسامة تلمع بها عيناه قبل ان تفتر عنها شفتاه .. اقبل علينا في هدوء وتؤدة . ثم حيانا وجلس في وقار اشبه بوقار الشيوخ ـ وهو لم يعد السابعة عشرة من عمره فيما يبدو ـ ولازم الصمت فترة خشيت ان تطول ، فساءلت صاحبي الذي وفد معه عن الفتى الظريف الذي اقبل لاول مرة على ندوتنا ، قال : هذا هو محمد الاسمر الذي حدثتك عنه .. فاقبلت عليه انا ورفقائي مسرورين مغتبطين . كان هذا اول عهدي بالصديق الشاعر محمد الاسمر . ولم تمض ايام معدودات حتى صار الوافد الجديد من اعضاء الندوة ومن خيرتهم ، كنا نسمعه اشعارنا ويسمعنا اشعاره » ...

ثم يقول عن هذه الاشعار حينذاك :

« كان محمد الاسمر يحاكي في شعره بناة الاهرام في اختيار القوالب الشعرية ، ويجري وراء الاعشى ولبيد ومن في حكمهم .. وكان امين المعداوي ينظم الشعر السياسي على طريقة خاله الشاعر علي العزبي .. وكان البدرين محمدين ينظم الشعر الديني وشعر الحكمة على طريقة الاباصيري والطغرائي وابن الوردي .. وكان فهيم القللي يذهب في شعره مذهب ابي نواس في الغزل ، وان لم يكن نواسيا بالمعنى المعروف » ..

كانت فترة الاحتذاء والتقليد في شباب الاسمر وزملائه . ويقول الاسمر فيما بعد : « ان الشاعر في اول نشاته يمر بفترة تقليدية ينظم فيها ما ينظمه وهو يقلد لشاعر تاثر به ، وقد تقصر هذه الفترة وقد تطول . وقد تستنفد مدة التقليد عمر الشاعر كله . والشاعر الاصيل هو الذي يتخلص من التقليد فلا يستمر صدى لغيره ولا ظلا لسواه . بل هو الذي يفرد تفريداته . وهو صوت مستقل بين الاصوات الشعرية ، وشخصية قائمة بذاتها لها ميزاتها الخاصة بها » .

وقد تحرر الاسمر بعد ذلك من التقليد ، واخذ على مر السنين يرسل نفسه على سجيتها ، في شعره ونثره ، ويستمد وحيه من حياته ومجتمعه ..

* * *

وفي عام ١٩٢٠ غادر محمد الاسمر بلدته دمياط الى القاهرة ، شابا في العشرين ، ليواصل دراسته ، وليشق طريقه .. ثم اتخذ من العاصمة منذئذ مقرا وميدانا للعمل حتى يوم وفاته ، ولو انه لم يقطع صلته بمسقط رأسه ، فكان يزوره في بعض ايام العطلة ، بل لقد اوصى بأن يدفن في ثراه . فلما توفي بالقاهرة عام ١٩٥٦ حمل اليه جثمانه ..

والتحق عقب وصوله الى القاهرة طالبا « بمدرسة القضاء الشرعي » ومكث بها ثلاث سنوات .. ولما اغلقت هذه المدرسة ، لحق بالازهر ، وقضى به سبع سنوات (١٩٢٣ ـ ١٩٣٠) ـ حين حاز « شهادة العالمية النظامية » الازهرية ..

وكان لعلماء الازهر ، ثم للاوساط الادبية والصحافية التي عرفها بالقاهرة .. والادباء ، والشعراء منهم ، الذين اتصل بهم .. والمكتبات والمجالس والمجتمعات ان اتسع امامه الافق ، فاخذ يعب من الكتب القديمة والحديثة ، ودواوين الشعر ، ومن الادب العربي المترجم الى العربية .. وثابر في الوقت نفسه على نظم الشعر ونشره في الصحف والمجلات .. ومن مشاهير الادباء الذين تعرف بهم الشيخ مصطفى عبد الرازق (الذي صار شيخا للازهر فيما بعد) وكان معجبا بشعر الاسمر ، فقدمه الى اخيه علي عبد الرازق (صاحب الكتاب الذي اثار ضجة عام ١٩٢٥ ـ « الاسلام واصول الحكم ») وكان من اقطاب حزب الاحرار الدستوريين اصحاب جريدة « السياسة » اليومية التي صدرت في اواخر ١٩٢٢ ـ وزميلتها « السياسة الاسبوعية »،(للاداب والعلوم) ـ ١٩٢٦ ـ فعين الاسمر مصححا للغة في هاتين الصحيفتين ، وكان الدكتور محمد حسين هيكل رئيسا لتحريرهما ، كما كان يحررهما ويكتب بهما رهط من ادباء ذلك العهد البارزين (ومنهم طه حسين والمازني وعبد العزيز البشري ودكتور هيكل وعبد الله عنان ومي وزكي عبد القادر ...) واستمر الاسمر ـ الطالب الازهري ـ يشتغل مصححا بدار « السياسة » نحو ثلاث سنوات ، يقضي بها ليله ويمضي نهاره في الازهر .. حتى اغلقت حكومة اسماعيل صدقي الجريدتين ، وتخرج الاسمر في الازهر عام ١٩٣٠ ، وبدأ حياته الوظيفية والعملية.

وكان الاسمر خلال عمله بدار « السياسة » ينشر بعض شعره ونقده في « السياسة الاسبوعية » (من ذلك مقالته عن الشاعر شوقي ١٩٢٧) كما أنه تمرس هناك بالحياة الصحفية ، وخالط الكثيرين من الكتاب الشيوخ والشباب .

ويطلعنا احد زملاء الاسمر في الدراسة والمسكن ، على شيء من حياته الخاصة في اثناء طلبه للعلم بالقاهرة ومما يقول : (٥)

« كان الاسمر الطالب بمدرسة القضاء الشرعي يسكن منزلا بكفر الطماعين بحي سيدنا الحسين ... وكثيرا ما كان يترك منزله لينام معي في حجرتي المتواضعة بحي الجمالية ، وفيها قال ارجوزته الممتعة التي نشرها في ديوانه تحت عنوان : « ليلة في منزل صديق » ـ وكنا نطعم ونشرب معا . فرأى رحمه الله توفيرا للوقت ان يترك اقاربه ويسكن معي ، وقد كان . وعشنا معا ثماني سنوات لم نختلف فيها على شيء مما يختلف عليه الزملاء عادة في امور معيشتهم لانه كان سمحا حسن المعاشرة كريما . وكنا نلبس ونتشد الجبة والقفطان .

---

٤ ـ ذكريات عن محمد الاسمر ـ لطاهر الجبلاوي ـ جريدة « اخبار دمياط » في ١٩ ـ ١١ ـ ١٩٦٢ و ١٠ ـ ٦ ـ ١٩٦٣

٥ ـ من ذكريات عن الاسمر بعد وفاته ـ للاستاذ ابراهيم النحاس

فكنا نتخيرها من لون واحد . وكنا لشدة التجانس بيننا في الزي يظن بعض الناس اننا اخوان . ولهذا كتب على صورته التي اهداها الي :

وانا على ما فرق الدهر بيننا لاقرب من هدبين يلتقيان
وحسبك برهانا على الود قولهم اذا ما بدونا : هل هما اخوان

« وكانت تنشر له « السياسة الاسبوعية » من قصائده التي كان يرسلها اليها ، وكان فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق ممن يتذوقون الادب ويتعشقونه . فأثر شعر الاسمر في نفسه واعجب به حتى انه استشهد مرة في احدى مقالاته بشعر من اشعاره . فذهب اليه الاسمر ليشكره ويتعرف به . وعينه أخوه محمود باشا عبد الرازق مصححا في جريدة السياسة بستة جنيهات ـ فكان لا يستأثر بالمبلغ وحده . بل كنا ننفقه على هذه الحال حتى تخرج كل منا في معهده وحصل على وظيفته .. كان رحمه الله محبا للخير ، مطبوعا على الكرم ، ما كان في حوزته يعتبر ملكا لغيره .. ولهذا كان الناس يطمعون فيه . وجاءه بعض معارفه يطلب منه جلبابا في فصل الشتاء ، فلم يجد عنده الا عباءة صوفية اعطاها له ، وكان قد خلعها عليه الملك عبد العزيز آل سعود حينما انشده قصيدة في حفل اقيم له بالقاهرة في يناير ١٩٤٦ » ...

اما حياته الازهرية التي لخصها في مقاله السالف الذكر : « خمسون عاما في حياة الجامعة الازهرية » فانه يختمها بذكريات ايام الامتحان النهائي قبيل تخرجه عام ١٩٣٠ ـ ومما يحكي باسلوبه الطريف:

« ... اصبح الامتحان وشيكا ، فلم يبق غير شهرين للامتحان التحريري . وبعد ذلك يبدأ الامتحان الشفوي . وكنت طالبا يميل الى الاناقة ، ولكن الانغماس في المذاكرة انغماسا كليا ابعدني عن الاناقة وزهو الشباب ، ورابطت في الجامع الازهر ادخله صباحا ولا اغادره الا في الساعة الحادية عشرة مساء . وكنت وكان زملائي الطلبة يلاقون في هذه المرابطة من جهاد النفس والعقل الشيء الكثير ، حتى ان بعض اخواننا لشدة ما كان يلقاه من عنت الذاكرة وثقل كتبها ، نظم قصيدة حمل فيها او تحامل على هذه الكتب ، وعلى بعض طرق التدريس بالازهر حينذاك ... وكان الازهر يفتح ابوابه في ايام المذاكرة لجميع الطلبة من الازهر وغير الازهر يظلون فيه جميع النهار وجميع الليل ، وانك لتجد فيه احيانا بعض الجماهير الذين لا سكن لهم نائمين يغطون في نومهم !...

.. وجاء الامتحان واديت جانبه التحريري ، وبقي الشفوي ـ وكان له شروط في هذه الايام غير المذاكرة ، منها ارسال اللحية ، وتضخم العمامة . فارسلت لحيتي وضخمت عمامتي . اما تفخيم العمامة فكان امرها هينا ، واما ارسال اللحية فهو ما كنت اضيق به ذرعا ، وكل امرىء يجري على ما تعود .. ودخلت الامتحان الشفوي بهذه اللحية الطويلة وعلى رأسي عمامة كأنها قبة من القباب . ثم اخذت مجلسي من اللجنة وكانت خمسة اعضاء . واول ما جلست امامهم خيل الي انني فار صغير يجلس امام خمس قطط كبار !. وابتدأوا يسألون وابتدأت اجيب ومكثت اتكلم عن (النقض المكسور) في علم الاصول ساعة ونصفا او اكثر... وصاحبني في ذلك التوفيق، والفضل في هذا يعود الى صديقي واستاذي فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، فقد قرأت عليه تعيين الاصول قبل دخولي الامتحان » ...

* * *

ومنذ تخرج الاسمر في الازهر ذلك العام (١٩٣٠) تبدأ مرحلة حياته العملية الجديدة .. ووجد خلالها بعض الفراغ للادب ونظم الشعر والكتابة في الصحف ـ ولحق بعدة وظائف لكسب العيش ـ فعين كاتبا بالازهر ، فامينا لمحفوظات الادارة العامة للمعاهد الدينية.. ووكلت اليه مشيخة الازهر تنظيم محفوظات القسم العام بالجامع الازهر .. ثم عين معاونا بمكتبة الازهر ، فامينا لمكتبة المعهد الديني بالاسكندرية مع بقائه بالقاهرة منتدبا للعمل بمكتبة الازهر .. ثم امينا لمكتبة الازهر ..

وفي أثناء ذلك ندب مرتين الى قسم مراجعة الكتب والمطبوعات بوزارة الداخلية المصرية لابداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية قبل التصريح بنشرها .. وايضا في بعض الافلام السينمائية قبل عرضها على الجمهور .. كما اختير مرتين عضوا في لجنة النصوص بالاذاعة المصرية لبحث الاغاني من النواحي الدينية والادبية والاجتماعية لاختيار الصالح للاذاعة او تعديله او استبعاده .. فقد جمع الاسمر بين رجل الدين والشريعة واللغة ، وبين الشاعر الفنان والناقد الاجتماعي ..

واخيرا اختير عام ١٩٥٦ عضوا في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة ..

وتعرف الاسمر عقب تخرجه ، برئيس تحرير « الاهرام » انطون الجميل ، وكان من المعجبين بشعر الاسمر ، فافسح صدر الاهرام لقصائده ومقالاته .. وكان ينشر في الوقت نفسه بجريدتي « المصري » و « الجمهور المصري » ..

ثم اسند اليه صاحب جريدة « الزمان » الاستاذ ادجار جلاد تحرير باب ادبي في هذه الصحيفة سماه : « ركن الادب » فظل الاسمر خلال الخمسينيات يكتب في الادب وينقد الكتب ، وينشر للشعراء الناشئين اشعارهم ، ويقيم لهم المسابقات الشعرية ذات الجوائز المالية يتبرع بها بعض الادباء الاغنياء في حفلات تكريمية ، حتى احتجبت جريدة « الزمان » واحتجب معها « ركن الادب » ..

* * *

وكانت اولى مجموعات الاسمر الشعرية قد صدرت عام ١٩٤٦ بعنوان « تغريدات الصباح » ونال عنها الشاعر جائزة المجمع اللغوي بالقاهرة في شهر يوليه ١٩٤٧ وضم هذا الديوان شعر الاسمر منذ عهد الشباب وتضمن القصائد الوجدانية والعاطفية ثم شعر المناسبات والاخوانيات .. وقدمه انطون الجميل ، كما كتب الاسمر مقدمة اخرى تحدث فيها عن بعض ذكريات حياته ..

وفي عام ١٩٥٠ جمع شاعرنا منظوماته ـ قديمها وحديثها ، ومعها ديوانه السابق « تغريدات الصباح » وصدرت هذه المجموعة الشاملة في اواخر ذلك العام بعنوان : « ديوان الاسمر » حافلة بقصائده في مختلف الاغراض ، من شعر الوجدان ، والمراثي والمدائح، والوصف والمناسبات والاخوانيات والاغاني وغيرها .. وتناوله الشعراء والنقاد بالتقريظ والنقد والتحليل .. (٦)

اما ما نظم الشاعر بعد صدور هذا الديوان حتى قبيل وفاته (١٩٥٦) فقد طبعه اصدقاؤه بعد وفاته تحقيقا لرغبته ، وصدر عام ١٩٥٩ بعنوان : « بين الاعاصير » وكان الشاعر قد اتم مراجعته واعده للطبع في الشهر الاخير من حياته ، ولكن الموت لم يمهله حتى يراه مطبوعا ..

وظفر شعر الاسمر بتقدير زملائه الشعراء ، وقرظوه في ابياتهم ، والكتاب في مقدماتهم ونقداتهم ، فقال فيه الشاعر محمود غنيم :

ما بال شعر الشاعر « الاسمر » أبيض مثل الفلق المسفر
فتشت ما فتشت عن لفظة نابية فيه فلم اعثر

٦ ـ انظر « تغريدات الصباح » لمحمد الاسمر ـ نشرته دار المعارف ١٩٤٦ في ٢١٦ صفحة ومقدمتان .. و « ديوان الاسمر » ١٩٥٠ في ٦٦٠ صفحة ومقدمة للشاعر واخرى بقلم عبد الحميد فهمي مرسي .. و « بين الاعاصير » ١٩٥٩ في ٢٣٠ صفحة وقدمه محمد عبد المنعم خفاجي .

فيه على ما فيه من قوة رقة ماء النيل والكوثر
قد بعث الاسمر في شعره عهد أبي الطيب والبحتري

ومما قال الشاعر محمد عبد الغني حسن :

رقة فيك لم تتح لزهير وافانين لم تكن للاعشى

وقال علي الجندي :

الم يكفه أنه بيننا يحل محل ابي الطيب ؟

وقال الشيخ مصطفى عبد الرازق : « لشعرك تاثير في نفسي احسبه يفوق ما يفعل الشعر ! »

وكان من قول الدكتورة بنت الشاطىء (الاهرام ٢٣ـ ١٢ـ١٩٥٠) :

« لشعر الاستاذ الاسمر طابعه الخاص الذي يتلاقى فيه القديم والجديد ، فيرضي ببعضه اصحاب المدرسة التقليدية المولعة بفخامة اللفظ وجزالة العبارة واجادة السبك ، ويرضي ببعض آخر ابناء المدرسة الحديثة المفتونة بحرية التعبير وبساطة الاداء ورقة النغم . وقد يأتلف المذهبان ويجتمعان في القصيدة الواحدة ، فتصدر بالغة القوة ، عنيفة الوقع ، رائعة الاسر ، عالية الرنين ، ويتجلى ذلك اكثر ما يتجلى في (قوميات) الاسمر و (شرقياته) و (سودانياته) التي تسجل صدى الاحداث الكبرى في حياة الشاعر ، وحياة الناس من حوله ..

اما مدائحه فيغلب عليها طابع القديم ، وتكثر فيها الصور التقليدية وتتكرر فيها الفاظ بعينها من مثل (اطل فجر ـ واشرقت شمس) » .

وتقول :

« وندع المدائح ، فتلقانا مجموعات من اناشيد الشاعر وقصائده المعبرة عن وقع الحياة على حس الشاعر ووجدانه ، وهذه تتميز بعذوبة النغم ، والتحرر ـ غالبا ـ من قيود الصنعة . وفيها تتجلى من « الاسمر » شخصية شاعر العصر ، بكل ما تعرف عن عصرنا من حرية وطلاقة وبساطة » .

ثم تقول عن شعر المناسبات في ديوان الاسمر :

« في الديوان بعد هذا ، مجموعات ثلاث من القصائد قد يضيق بها ناقد يكره شعر المناسبات ، واعني بهذه المجموعات قصائد الشاعر في الاشخاص الذين عرفهم او اعجب بهم لكني ابادر فاشيد ان «الاسمر» لا يبدو هنا ممن يتصيدون المناسبة ليقولوا الشعر ، وانما يقوله حين تقوى المناسبة فتهز وجدانه وتثير شاعريته .. ومن ثم لم تكن قصائده في هذا المجال مجرد نظم متكلف مصنوع ، وانما هي من نوع « الاخوانيات » التي اعترف بها الادب العربي من زمان » ...

ويناقش الاسمر هذه المقالة (بجريدة الزمان ١٦ ـ ١٠ ـ١٩٥٢) بقوله :

« ... استأذن الكاتبة الكبيرة في ان اتناول بالايجاز مسألتين جاءتا في كلمتها .. اما المسألة الاولى فهي قولها : ان لشعري طابعه الخاص الذي يتلاقى فيه القديم والجديد ... واذا كان شعري كذلك فاود ان اضيف ... ان ذلك شيء لم اتعمده لارضي هذا او ذاك وانما هو الطبع والعاطفة مضموما اليهما الشغف بموسيقى الالفاظ ، وحرصي الشديد على ان اقول شيئا أنا راض عنه . والشعر اذا جاء ثمرة كل هذه الاشياء فخليق به ان يرضى عن جميعه الجميع .. الشعر في نظري اما جيد او غير جيد . اما القول بالمدرسة القديمة او المدرسة الحديثة ، فهذا في الحقيقة لا شأن له بجودة الشعر او رداءته .. والشعر الوانه كثيرة يستسيغها جميعها من فطره الله على الشعر .. ولكل لون جماله الخاص به ما دام هذا اللون صادق الطبع والعاطفة حسن الصياغة » ..

اما عن المسألة الثانية وهي ان شعر الاسمر تتكرر فيه الفاظ بعينها ـ كالفجر مثلا ـ فيرد الاسمر عليها : « ونحن نقول ان في عالم الشعر العربي الفاظا متحركة هنا وهنالك منها : الشمس والقمر والفجر والربيع والروض والغصن والنسيم والسحاب والبحر والسيف والرمح الى غير ذلك من هذه الالفاظ المتحركة .. وبراعة الشاعر تتجلى في استعمال هذه الالفاظ ووضعها الوضع الشعري الذي يضفي عليها الوانا مختلفة .. ولمناسبة الفجر الشعري ، اقول ان الفجر الافقي نفسه يتعدد جماله بتعدد مجاليه التي يظهر فيها ، فجماله على البحار غير جماله على الصحراء ، غير جماله على الجبال، وغير جماله على المروج ... فجر واحد وجمال متعدد » . .

وقد سبق ان تحدث الاسمر في مقدمات دواوينه وفي غيرها ـ عن رأيه ومذهبه في الشعر ونظمه ، ومما يقول : « ان نظم الشعر لا يستقيم امره للشاعر الا اذا كملت ادواته لديه ومن اهمها : الاطلاع على اللغة وآدابها ، والشعور الصادق ، والقدرة على صياغة هذا الشعور في الالفاظ المتخيرة .. » وان لكل لون من الوان الشعر قواعده واصوله الفنية مع مراعاة الاساس في كل ذلك ، وهو ان تكون لدى الشاعر الموهبة والاصالة في النوع الذي ينظم فيه .. وهو لا يرى في مذاهب الشعر مذاهب متنافرة ولكن يراها الوانا ذات جمال اذا تمت لكل منها الاصالة والاجادة . ويرى انه يجب على كل شاعر ان يدرس نفسه فيفرد التفريد الذي يميل اليه بفطرته ، وان يبتعد كل الابتعاد عن التقليد .. وكما ان الله وهب البلبل والكروان والحمامة واليمامة وغيرها من الاطيار تفريداتها الجميلة المختلفة ، خلق الشعراء كذلك ، ومنحهم شتى الوان التفريد ـ والشعراء على اختلاف عصورهم ومذاهبهم ولغاتهم ازاهير روضة لكل زهرة جمالها الخاص وعبيرها الخاص ..

وهذا كله ينطبق على الشعر العاطفي او الغنائي بصفة خاصة ، اما الشعر المسرحي مثلا ـ فيضاف الى ما سبق : مراعاة قواعد المسرحية واصولها فاذا كانت تاريخية وجب مراعاة الحقائق التاريخية او قوة الحجة اذا كان له رأي يخالف رأي المؤرخين ..

اما عن « شعر المناسبات » فيرى ان الشعر العاطفي كله انما تدعو اليه مناسبة من المناسبات العاطفية من عشق وحب واعجاب ، ومن حزن وغضب وبغض .. وغير ذلك من العواطف التي هي البواعث الحقيقية لشعر القلب .. ولكنه لا يعد الوانا ثلاثة من الشعر شعرا وهي الشعر التكليفي وهو ما يجبر الشاعر على نظمه ، والشعر التكسبي وهو ما يبغي به الشاعر اقتناص المال ، وشعر المجاملات هو ما ينظمه الشاعر مجاملا لبعض الناس وليس لديه الا تبعات العاطفي فيما يجادل فيه فيقول : (٧)

وما كنت يوما ما بشعري تاجرا ويا ربما دبجته غرم غارم
أصوغ الذي اهوى فلست بناظر الى ارب او عاشق للدراهم

ويقول الاسمر في الشعر والشاعر :

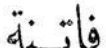
ليت كل الانام يعرف ما الشعر وما ينطوي عليه الشاعر
هو منهم من كل قلب ونفس فهو فيهم عواطف ومشاعر
يقطع العمر كله ومضات مثل ومض البروق بين الدياجر
رحمة ، رقة ، صفاء ، وفاء ، بسمة .. دمعة وديع ثائر

وفي تعب الفلاسفة يقول :

كم فيلسوف ركب التفكير بحثا عن نبا
ان ظنه لاح رآه بعد ذلك اختبا
يبحث عنه في الصباح والمساء ـ ما هدا
يدور في دائرة ما بين شك وخطا
بعد المسير والسرى عاد الى حيث ابتدا

---

٧ ـ انظر مقدمتي الاسمر في « تغريدات الصباح » ـ و « ديوان الاسمر » ومقدمة الاستاذ خفاجي في : « بين الاعاصير » .. ومحمد الاسمر الكاتب الاجتماعي ـ مقالة لوحيد الدين بهاء الدين « كتاب من الادب العربي المعاصر » ١٩٦٦ ص ٩٤ ـ ٩٩ .



ردت شبابي الى الدنيا بناظرها
والبستني ربيعا من أزاهرها
مما تفتح من ورد بوجنتها
وما ترقرق ظلا في محاجرها
كأنها وهي تضوو أبـرد لؤلؤة
أو نجمة تتعرى من ستائرها
يلفها شعرها الداجي على حذر
ولو تشاء لغابت في غدائرها
فيا لروعة ثغر من مفاتنها
ويا لروعة جفن من سواحرها

وديع ديب

والاسمر لا يغوص في اغوار الفلسفات ، ولا يضل في متاهات الظنون ، وآراؤه في الحياة والموت تسليم بقضاء الله وقدره .. وايمان بوصاياه ونفور من الشرور والمظالم . ودعوة الى الخير والجمال والبر والاخاء .. والى العدالة الاجتماعية والاصلاح والمحبة والتعاون .

وفي يوليه ١٩٥١ يشكو في شعره حال الفقير المحروم :

يا مصدر السلطات مالك هكذا ... جوع وامراض وحزن شامل
العامل المسكين لا يدري لما ... يلقى من الازمات ما هو عامل
والبائس الفلاح تزدهر الربى ... بيديه وهو اخو الشعوب الذابل
اما الموظف فهو عبد خاضع ... يمشي وفي الساقين منه سلاسل
عصف الغلاء بهم فمن لم ينهدم ... من عصفه فهو الجدار المائل

ولم يجمع من مقالات الاسمر ونقداته وتعليقاته في الصحف والمجلات غير كتاب نثري ظهر عام ١٩٥٥ بعنوان : « مع المجتمع » ، تضمن عددا من مقالاته الاجتماعية والنقدية ، قسمت الى هذه الابواب : من وحي الحياة ، من وحي الحرب ، من وحي الدين ، من وحي النيل ، من وحي الاغاني ، من وحي الدعابة .. وقدمها بقوله : انها « كلمات تتضمن اشياء شاهدناها فصورناها ، فهي لوحات في صفحات .. وهذه الكلمات اوحى بها ما يحيط بنا من شؤون الحياة ، لم انكلف موضوعها » ...

ويجمع بين هذه الكلمات اسلوب سهل شائق ، وبيان واضح فيه الجد وفيه الفكاهة ، وفيه العرض والتصوير ، ثم التوجيه والارشاد .. صور منوعة من دنيا الناس حوله ـ مثل معركة الذهب ، التوكل والتواكل ، الاغاني ، مسرحية الحياة ، امواج البحر وامواج البر « .. ورأيت موجا كبيرا يلتهم موجا صغيرا ، فقلت : وهكذا الناس .. ورأيت الموج يتسابق ويتزاحم ويتطاحن فهدات امواج البحر ، فقلت : ومتى تهدأ امواج البر ، فقال لي البحر ساخرا حينما تهدأ الاطماع وحينما تهدأ الاهواء ..! »

ويقول : « ما اشبه هذه الحياة بمسرحية معقدة المناظر ، كثيرة الفصول .. ولكن النظارة فيها هم ايضا الممثلون .. الكبير يقوم بدوره ككبير ، والصغير يقوم بدوره كصغير . حتى البهائم تقوم هي الاخرى ايضا بادوارها .. وعندي ان كل هؤلاء الممثلين لهذه المسرحية متساوون في عالم الحقيقة ، وان اختلفوا في عالم التمثيل .. » .. وهم في رأيه اخوة ابناء أب واحد وأم واحدة ، فلا داعي لتفاخر الابناء وتنازع الاخوة ..

ثم لم تجمع بقية نقدات الاسمر وتعليقاته ودعاباته في الصحف والمجلات ولا سيما جريدة « الزمان » .. او رسائله الخاصة ، وترجمته الذاتية بقلمه ..

وقضى صديقنا الاسمر ـ رحمه الله الشطر الاخير من حياته ، في هدوء واستقرار بين اعماله الوظيفية ، والادبية والصحافية ، وبين بيته (وكان قد تزوج ولم ينجب ، وعد دواوين شعره ابناءه) ـ ثم بين اصدقائه واحبائه الكثيرين .. واخيرا نغص عليه حياته مرض الكلى ، وتوقع الموت ، وكان ينظم احيانا شعرا تشاؤميا ، كقوله عندما بلغ الرابعة والخمسين :

هيهات، هيهات، لستاليوم متبعا ... شيطان نفسي ولا القى الشياطينا
أبعد خمسين عاما ثم اربعة ... ألهو كما كنت أيام الثلاثينا
هبنا المجانين في ماضي شبيبتنا ... فهل نظل وقد شبنا مجانينا

وبعد عام يقول :

خمسون مرت ثم خمس لقد ... ضاق علي ما ابتغي وقتي
وليت شعري ما الذي ابتغي ... وقد دنت مرحلة الموت

وفي قصيدته : « صوت من القبور » يقول :

نهايتنا نحو هذا المكان ... فراقب الهك في كل آن
ومر بدنياك مر الكرام ... عفيف اليدين ، عفيف اللسان
هو العمر في لحظة ينتهي ... وما العمر الا سراب الزمان
تزود من الخير قبل الرحيل ... الينا ـ وقبل فوات الاوان

وعندما اشتدت به العلة ، نقل الى المستشفى لاجراء عملية الكلى، وظل عدة ايام يباسط زواره ويداعبهم ، وزاره هناك صديقه الطبيب الشاعر ابراهيم ناجي ، فقال له الاسمر :

اشكو الى الله حصى في الكلي ... كأنه فيها رواسي الجبال
بعض الذي القاه من وخزه ... اقسى من الطعن وحز النصال

فاجابه ناجي :

الرأي للمشرط ان لم تفد ... فمسيسة المشب وبذر الخلال

ولم تفد الجراحة ، وصعدت روح الاسمر الى الرفيق الاعلى في ٧ من نوفمبر ١٩٥٦ في السادسة والخمسين من عمره . ونقل جثمانه كما اوصى الى مسقط رأسه دمياط ـ مرتع طفولته وصباه ، ومثوى آبائه وعشيرته ، ودفن معهم هناك ..

وكان عندما توفي صديقه الشاعر علي محمود طه في نوفمبر ١٩٤٩ ونقل جثمانه الى بلدته « المنصورة » جنوبي دمياط ، ورثاه الاسمر ، قال :

خلا الروض يا غريد الا بقية ... تذوب على الوادي من الحسرات
فيا صاحبي لبث قليلا فانني ... موافٍ على نفس الطريق موات
اذا كنت «للمنصورة» اليوم راحلا ... فاني الى دمياط بعدك آت
اذا مر نعشي يا صديقي مسلما ... عليك فسلم وادع بالرحمات

ثم اقام له مواطنوه بدمياط في فبراير ١٩٥٧ حفلا تأبينيا ، القى فيه الشعراء والخطباء مراثيهم ـ ومن ذلك قصيدة عصماء للشاعر طاهر ابي فاشا بعنوان ميلاد شاعر : (٨)

وقال بنو الموت : لقد مات شاعر ... وكيف يذوق الموت من كان مخلدا
وما مات شاد بالجمال وانما ... الى عالم الالحان عاد كما بدا

الاسكندرية — نقولا يوسف

٨ ـ جريدة اخبار دمياط ٤ ـ ٢ ـ ١٩٥٧



ما يقول السكوت

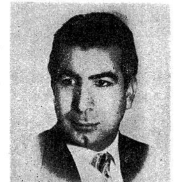
أين بيتي ؟ سألتني ، هو من لبنان ، حيث الجلال والجبروت

حيث تبنى على مناقب أهليها   وتعلو بالساكنيها البيوت
في رواق من باذخ العز يعلو   فوق طود من قلبه منحوت
جل لبنان ان تنال علاه   ليس ملكا بل انه ملكوت

تحتي السفح خاشع يترامى   صامت العمق والجلال صموت
مطلق الحسن في الوهاد، حبيس   في حنايا صخوره مكبوت
جمد المسك في الصخور ، فترب السفح مسك من صخرة مفتوت
كل صخر كأنه حق عطر   عند كهف كأنه حانوت
في غياض نما الزمرد فيها   وتدلى من فرعه الياقوت
أبدات الالوان ، والحسن لون   في سواها زمانه موقوت
كل فصل لها ، فليست لتاسى   في مصيف على ربيع يفوت
قصها الشط لوحة وترامى   باسمها البحر فهي جاه وصيت

جمع الحسن في الربى وترامى   فوق تلك البطاح فهو شتيت
في رياض تداخلتها غياض   ومروج تخللتها مروت
ودروب سوداء للشط تسعى   كالافاعي يلفها وهو حوت
وسيول من آدم في اصطخاب   تترامى ويعتريها الخفوت
جمعت من دساكر وضياع   فهي اليوم كلها بيروت
هي ملهاي ان لهوت ولكن   ليس فيها للروح ، ان جاع قوت
قد وقاني من انجرافي اليها   في الاعالي تأصلي والثبوت
وهو الشعر خدنه النسر يحيا   في الاعالي، وفي الشطوط يموت
ليس لبنان ما يضج بنوه   ان لبنان ما يقول السكوت

فارس سعد



وحيد الدين بهاء الدين

المعارضات الشعرية وموقف المعاصرين

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

تكتنف الادب العربي : قديمه وحديثه ، معارضات شعرية في غاية الطرافة والجدة ، وقمة في النضج الفكري والروحي ، تعمدها الشعراء على اختلاف ارهاصاتهم وثقافاتهم ، لاطلاق ما بنفوسهم من ايحاءات الوجدان ، وكشف ما يخالجهم من فيض القدرات على معارضات ومباريات ، القت ظلالا مديدة على رياض الادب ، واغنت دولة الشعر ، على ترادف العصور ، اضافة الى ما ذلك كله من تحديد لملامح التجديد والتقليد، وخصائص التسامي والتهافت ، ومزايا التحليق والتذبذب بالقياس الى غير .

هذا يعني ان ما دعا الشعراء الى المعارضات ، هو نزعة المشاركة والمحاكاة من جهة او شهوة المعارضة والتفوق من جهة اخرى ، اعرابا عن تلك العناصر الكامنة في طبيعة الاقدام على هذا اللون من الالوان الشعرية .

وما كانت — في اعتقادنا — هاتيك المعارضات غاية في ذاتها ، وانما كانت وسيلة الى غاية . كان مبعثها — اكبر الظن — تزجية للفراغ الهائل الذي طالما اوجدت اسبابه في الماضي بساطة الحياة القائمة ، وتسرية — بالمتعة — عن النفس المتأثرة بعامل الزمان والمكان ، والواقعة تحت سيطرة الانفعالات والهواجس ، وبالتالي تفتيقا للذهن الذي لا ترهقه شواغل الدنيا كما هي الحال، حيث الشرور تتفاقم ، والاختلاطات تتعاظم ، والتناقضات تنفجر .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المبتسم

هذان البيتان لعنترة بن شداد، وهما من النصوص الموغلة في القدم ...

عارضهما على مسار الادوار الادبية عدد من الشعراء منهم ابو العلاء المعري وصفي الدين الحلي ، وحفني ناصف ، وخليل مطران ، وكثير غيرهم . على انه يمكن الزعم بان المعارضات بدات من هنا .

نظم في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، شعراء عديدون من قدامى ومحدثين ، قصائد قوية رائعة، تستقل كل قصيدة بطابع خاص ، وبتناول متفرد متميز، ينم على التأمل الباطني والوعي الحسي ، والارضية الصلبة لدى صاحبها . ومن هذه المدائح قصيدة كعب بن زهير ، وهو من المخضرمين ، وبها يستهلها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول

ثم يقول :

ان الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

يقول الدكتور زكي مبارك : (والذي نقول به في هذه القصيدة لم يقل به احد من المتقدمين فقد اهتموا بها اهتماما عظيما ، وعدوها من اجل ما قيل في مدح الرسول ، وعني بها الشعراء) (١) .

لقد بارى هذه القصيدة وعارضها شعراء كثيرون منهم ابن نباتة المصري :

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول   هذا وكم بيننا من ربعكم ميل (٢)

الا ان اوسع هذي المدائح شهرة واعمقها اثرا واخطرها شأنا ، قصيدة (البراة) لا (البردة) — على ما قيل — لشرف الدين محمد البوصيري ، وهو من شعراء الفترة المظلمة :

امن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

انما عارض هذه الملحمة الشامخة المتشحة بغلالة من نفحات الصوفية ، وتطلعات الى ما وراء المدركات ، كثير من الشعراء ، لوقعها العجيب على عقولهم وقلوبهم ، فكان لهم منها ما كان لهم من قصيدة كعب بن زهير .

ومن المعاصرين يقول شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم   احل سفك دمي في الاشهر الحرم

وللسموأل بن عاديا الجاهلي الذي له في الوفاء اخبار مذهلة ، قصيدة ذهب استهلالها مذهب الامثال العربية :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

عارضها الرصافي في قصيدته (الى الامة العربية) :

هو الليل يغريه الاسى فيطول   ويرخي وما غير الهموم سدول

وحين نظم حافظ جميل قصيدته (يا تين) ، وقد تضمنها ديوانه (نبض الوجدان) :

---

(١) و (٢) المدائح النبوية في الادب العربي. ص ٢٥ — ٢٦ — ٢٧ . دار الكاتب العربي بالقاهرة .

هتفت بالتين فاهتزت لـه طربا ... وقلت للتوت كن اقراطها الذهبا
احذر اذا انتفض الرمان وانتصبا ... ان ياخذ الكرم من حياته الحببا

يا تين يا توت يا رمان يـا عنب

باراها ابراهيم طوقان بقوله :

باكرت يا تين نحو التين اجنيه ... واذرف الدمع من عيني واسقيه
اسندت راسي الى غصن اناجيه ... فردد الطير نوحي مـن أعاليـه

يا تين يا توت يا رمان يـا عنب

وكانت قصيدة (يـا ليـل الصب) لابـي الحسن الحصري القيرواني ، من اكثر القصائد التي لقيت مـن اهتمام الشعراء واجدرها بالمعارضات المتعددة ، لخفة جرسها الشعري ، الناشئة من انسياب الفاظها وجمـال معانيها :

يـا ليل الصب متى غده ... اقيـام الساعـة موعـده ؟!

اذا كان شوقي قد عارض هذه القصيدة في (مضناك جفاه مرقده) والاخطل الصغير فـي (النجم بثغـرك ارصده) وفوزي المعلوف في (هل سيل يهدر جارفه) ، فان معظم شعراء العراق ، على تباين مذاهبهم الشعرية ، قد عارضوها وعنوا بها الى اقصى الاماد .. قال كمـال نصرت :

الشعـر بحبك انشده ... وفـم الايـام يـردده
كالبدر تضـيء مطالعه ... وينيـر الغيهب فرقده

كثيرة هي القصائد على هذا الضرب مـن ضروب المعارضات والمباريات ، ولا مجال للعرض الوافي الكافي . انها — على اية حال — تفصح عما يومض باذهان الشعراء من شرارات الانطلاق والاستشراف ، ويعتمل بدخائلهم من الاحاسيس والاعتلاجات .

ولئن توازنت عناصر الفن في اغلب هذه القصائد الشعرية من تناظر التجارب الشعورية ، وتلاؤم القيم التعبيرية ، وتوافر الوحدة الموضوعية ، فانها زادت مـن ثروة الادب العربي في جميع ادواره واطواره ، واطلقت المعاني الجليلة من محابسها ونفخ في الموات من الشعور والفكر معا احيانا .

ولكنها الان — وربما لانها تمثـل الترف العقلي والمتعة النفسية باجلـى مظاهرهما فقـدت قيمتهـا (الحياتية) دون القيمة (الفنية) او (التاريخية) التي تستغل وينبغي ان تستغل في مضامير البحث والتحليل والمقارنة .. فلم يعد لها شأن يهـم الشعراء الواقعيين بسبب من مجابهتهم شراسة الواقع بمرارة ، ومعاناتهم مشكلات عصرهم ووجودهم ، ثم ترفعهم عن العنجهيات والعنتريات .

ومع هذا كله فان ثمة شعر الاخوانيات الذي يمكن ان يحمل معنى شعر المعارضات ، والذي يتواصل بـين الاحبة والاخوة من الشعراء ، على البعـد والقرب ، وفي حالات شتى ، كما يتجلى في المقطوعتين هاتين :

قال شاعر الاهرام محمد عبـد الغني حسن حين ترامى اليه أن صديقنا جورج صيدح يشكو داء :

لست ارجو منك الا كلمة ... تجعل الدنيـا لـي مبتسمـه
نبـا العلـة قـد ازعجنا ... فازح عنـا الظنون المظلمه
الجراحات التـي تؤلمكم ... هـي والله علينا مؤلمـه

وقد رد عليه جورج صيدح شاعـر المهجر ونزيـل باريس اليوم ، بما يناسب الحال وكله شكران وعرفـان بجميل المحبوب :

شاعر الاهرام بالروح فمه ... قال فـي جرحي مقالا بلسمه
عنقي المعطوب مـا اسعده ... نظم المحبوب فيـه ملحمـه
كان يشكو نفرا فـي صلبه ... وجفافا فـي العروق الهرمه

فالابتعاد في حضارتنا الراهنـة ، ويغذيها الصراع ويعتريها التناقض والتعقد ، عـن قضايـا الانسان ، والتغابي عن الاندماج فـي صميم اهتماماته ومعضلاته ، وتجاهل واقعه ومصيره ، امر لا يمكن التجاوز عنـه . حسبنا هذا الذي نراه بابصارنا وبصائرنا ونحسه بعجره وبجره ، ويتمثل لنا في كل لحظة مـن لحظات سير الزمن .

بغداد — الاعظمية ... وحيد الدين بهاء الدين

حكاية ازلية

الارض مصباح مضيء
محاولة اغراء لاية حشرة ما زالت تتنفس
ذبابة .. انا .. وانت .. وهم
مبهورة تـدور
تدور حول المصباح المضاء
ندور حوله ... نحوم حوله
ندنو منه وباندفاع
وتغرينا الحرارة اللاذعة
وتصدمنا الحرارة اللاذعة
ننتفض .. نئن .. نحاول ان نطير
نصرخ .. نجن .. ها اننا نموت
دارت .. حامت .. جنت .. انت .. ماتت
فالى دوامة اخرى .. تعود مرة اخرى
الذبابة تطن قرب اذنك النائمة
هل من يستيقظ ..؟!
هل من يتساءل ...؟!
الحقيقة تشع وتحرق
الارض .. ذلك المصباح المضيء
ما زال يغري .. يستهوي بحرارته
بضيائه الاحياء على الموت

منى خوري



نـدى وهـدى

مهداة للشاعرة النابغة هـدى البير اديب

★ ★ ★

(ندى وهدى *) ، يا نغمتان على اذني   كانكمـا عصفورتـان علـى غصـن
تطوفان بـي والشوق مـلء نواظـر   بها السحر مـن قبل التمرس بالفن
تسابقتا فـي ملـك حضني وانني   وجدتكما في السبق نجمين في حضني
وعلمتماني مـا التساوي ومـا الفـدا   بحريـة عـزت رهين بهـا سجني
فان جئت للكبـرى بحلواء لـم اكـد   اقسم للصغرى فتـزور فـي ضغن
ورب لبوس ، ضاق عنهـا ، هديـة   فتلبسه غصبـا وتمعـن في المن
وتزعـم أنـي مـا عدلـت وانمـا   أحابي لاخت ، ثـم عنـي تستغني
تحيرت لكنـي تباعدت فـي الصدى   واشفقت ممـن بابنتين غـدا يبني
فخور تريـد الزوج يبقـى اليفهـا   وحسناء تسبيه وقـد جن كالجن

وجدت سبيلا للمساواة فـي الهوى   فهذي لهـا قلبي وتلـك لهـا عيني
ازورهمـا والنفس توجس خيفـة   فما تتركاني أبرح الدار فـي هـون
تنوحان والايـدي بثوبـي مكينـة   فيا قيد مـا احلاك ، لا تبتعد عني
لحا الله توديعا الـى غيـر رجعـة   فاني اريـد العيش مهما تكن سني
أتيت الـى الدنيا لاهـوى أحبتي   ساشربهـا حتى الثمالـة فـي دني
واحتمـل الآلام حتـى اذا بـدت   ملذة يـوم بـت انسى التي تعني
كمـا هـي دنيانـا فخـذ بقبولها   تخفف شقاء او تنـل راحة الامـن
ولا تحـر في جنبيك حزنـا ولوعـة   فان قصار العمـر هـدوه بالحزن

* طفلتان هما بنتا « ذكاء » بنتي .

دمشق

زكي المحاسني



بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي



تلقت الممرضة المحامي الشاب بابتسامة مغرية ، وسبقته الى باب غرفة الطبيب وهي تقول :

— تفضل . ليس عند الدكتور احد . انتهينا من معاينة آخر المرضى منذ قليل .

وفتحت الباب دون ان تقرعه ، فهبت على الاستاذ نصري مع هدير محرك مكيف الهواء رائحة الادوية المعقمة ، وارتفع صوت الدكتور خالد قائلا :

— نصري ؟ اهلا . جئت في وقتك . ادخل .

فدخل المحامي الغرفة واغلق الباب وراءه ، ثم وقف يتأمل موكله ، وصديقه ، الدكتور خالد وقد بدا له منظره منظرا غريبا لطبيب في ساعة راحة . فقد كان عاري القدمين ، يجلس على كرسي واطيء ، وقد مدد ساقيه على الاريكة المنخفضة التي يضجع عليها في العادة مرضاه حين يقوم بفحصهم . قال المحامي :

— ماذا يا دكتور ؟ هل كنت تتوضأ لصلاة العشاء ؟

فضحك الطبيب دون ان يتحرك في جلسته ، ومن غير ان يحول نظره عن قدميه العاريتين المرفوعتين على الاريكة ، وقال :

— شيء قريب من هذا . اعذرني واسترح لحظة ريثما البس جواربي .

ولاحظ المحامي ان صديقه الطبيب كان يمرر كفه على قدمه اليسرى ، يمسحها او يجسها باصابعه ، فسأله :

— هل تؤلمك قدمك ؟

فتجاهل الطبيب السؤال وقال :

— انظر ... هل ترى فارقا في الشكل بين القدمين ؟

قال المحامي :

— لا . قدماك صغيرتان ، دقيقتا الخطوط ... كانهما قدما امراة .

فانزل الدكتور خالد ساقيه عن الاريكة وشرع يلبس جواربه وحذاءه ، وقال :

— قدماي صغيرتان ؟ لا اظن . ولكنهما نحيلتان ، ومقوستان . قرات مرة ان الشاعر الفرنسي المشهور لامرتين كان يفخر بتقوس اخمص قدميه ويستدل به على ان دما عربيا يجري في عروقه قد اورثه ذلك التقوس ورشاقة شكلهما ...

ضحك الاستاذ نصري وقال :

هذه اول مرة اسمع بما قلته . قدماك عربيتان اذن ... يجب ان تفخر بهما .

قال الطبيب وهو يقوم عن كرسيه الواطيء ويجلس وراء مكتبه :

— نعم ، لو كان في هذا مجال للفخر . سيكارة ؟ تفضل . لو كان لك عينا طبيب يا نصري للاحظت ان قدمي اليسرى اضخم قليلا من اليمنى ، من ظهرها وعند عنقها ، وان الجلد الذي يكسوها املس ناعم .

قال المحامي : لم الحظ هذا . هل التوت قدمك في صدمة ، ام ان هذا طبيعي عندك ؟

قال الدكتور خالد : لا هذا ولا ذاك . وانما هو حادث جديد ... تستطيع ان تقول عنه انه علامة مرض .

قال الاستاذ نصري متسائلا : علامة مرض ؟ مرض في رجلك يا دكتور ؟

قال الطبيب : ولماذا هذا الاستنكار ؟ ليست رجلي المريضة ... بل جسدي . ورم رجلي علامة مرض في جسدي . للاطباء الحق في ان يمرضوا كذلك ، مثل زبائنهم ، يا حضرة المحامي ...

قال المحامي : انت تمزح ولا شك . هل هو مرض خطير ؟

فمط الدكتور خالد شفتيه وقال : ربما نعم وربما لا . من حيث النتيجة لن يكون خطيرا بحال . بل ربما كان مرضا ذا فائدة ... ربما حل لنا بعض المشاكل .

قال الاستاذ نصري وهو يسند ظهره على ظهر كرسيه :

— لا افهم عليك . وعلى ذكر المشاكل اخبرك بأن دعوى التخلية قد تأجلت اسبوعين ، وان عليك ان تعرفني بنيتك اذا كنت تنوي المصالحة. ثم ان امامنا الانذار الذي كلفتني ان اقدمه بشأن ...

فقاطعه الطبيب بقوله: سنتحدث في هذا بعد قليل . انا الذي يريد ان يحدثك الآن ... وان احدثك في الطب . لقد انطفات سيكارتك . لا ، لا تشعلها ... خذ سيكارة جديدة . لا تشعل ابدا سيكارة مطفأة ، لان سموم الاحتراق تترسب في العقب المطفأ ، فاذا اشعلته ثانية اندفعت الى صدرك بكمية مضاعفة في اول نفس تسحبه ...

فالقى الاستاذ نصري سيكارته المطفأة في صحن الاعقاب واشعل واحدة جديدة من علبة صديقه . كان الدكتور خالد والاستاذ نصري صديقين على رغم تفاوت السن فيما بينهما ، او ان هذا التفاوت لم

يكن ملحوظا . فقد قارب الدكتور خالد الخامسة والخمسين او انه جاوزها ولكنه ظل يحتفظ بمظهر الفتاء . كان يبدو في الاربعين ، لم يشب من شعره الا القليل ، مستقيم القامة المديدة ، املس الوجه ليس للتجاعيد اثر في خديه او على جبينه . اما المحامي ، فعلى انه لم يكن جاوز الثلاثين باكثر من عامين فقد كان اصلع بطينا ، كثير السهر ، قد غضن الضحك العنيف وعبوس الاهتمام بجليل الامور وتوافهها حواشي عينيه وملتقى شفتيه ، مما يعطيه في عين ناظره عمرا اكبر من عمره الصحيح . وحين كان الصديقان يلتقيان كان الاستاذ نصري هو المتكلم دوما .. يروي لصاحبه قصص المتقاضين في قصر العدل واحداث شهرته البارحة وما يدور في الاروقة والكواليس من حكايات الحكام والمحكومين . لذا فقد كان جديدا على الاستاذ نصري ان يقول الطبيب انه يريد ان يتحدث وان يحدثه في الطب بصورة خاصة . لذا فقد سحب نفسا عميقا من سيكارته وقال في ترقب :

– تفضل يا دكتور ... كلي آذان صاغية .

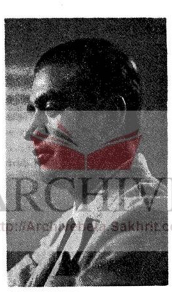
قال الدكتور خالد : هل تعرف كم بلغ عمري يا نصري ؟ في ايلول القادم اتم السادسة والخمسين . ابنتي هناء مرشحة للزواج ، وابني سالم ترفع لصف البكالوريا ، والآخران في اول دراستهما الثانوية . عندي من الاملاك ...

فقاطع الاستاذ نصري كلام الطبيب بقوله :

– ولكن هذا ليس حديثا طبيا .. انه ترجمة حياة . كانك نسيت اني وكيلك القانوني العام واني اعرف كل هذا عنك .

فابتسم الطبيب ابتسامة تجمع بين الحزن والسخرية وقال :

– اصبر علي قليلا فيأتيك حديث الطب . يبدأ هذا الحديث من قدمي اليسرى التي قلت لك انها اضخم من اليمنى . قدمي هذه يا نصري متورمة ، متوذمة . انها مصابة بوذمة مضى عليها اكثر من اسبوعين دون ان تتراجع ، بل انها تسير الى التزايد ببطء ولكن باستمرار . ان صحتي العامة لا غبار عليها : ضغطي اربعة عشر ونصف على تسعة ... لا اشكو من حرارة ولا صداع ولا دوار . بولي



الدكتور عبد السلام العجيلي

رائق وليس فيه رواسب ولا زلال ... فحصته امس . اخذت حبوبا مدرة فخف الورم قليلا من ظهر قدمي ولكنه لم يلبث ان عاد الى الزيادة . هل تعرف معنى هذا يا نصري ؟

قال المحامي : لا اعرف قطعا . ولكن يخيل الي انه ليس شيئا ذا بال . ما دام ضغطك طبيعيا وحرارتك طبيعيا ونشاطك طبيعيا وكنت لا تشكو الما ، فماذا يهمك من ورم خفيف في ظهر القدم ؟

قال الطبيب : انت مخطيء . ورم القدم علامة ركود في سوائل البدن . تبدأ كل الوذمات الركودية من القدم ، لان القدم اوطأ انحاء الجسم ...

قال الاستاذ نصري : قل هذا لطلاب الطب ، او لزملائك الاطباء ... اما انا فلا افهم من هذا الكلام شيئا .

فضحك الدكتور خالد وقال : آسف لازعاجك بتفاصيل لا تعنيك . ولكن الذي اردت قوله هو ان هذا التورم الثابت المستمر ، الذي لا يزول بالدواء ولا يترافق بأي عرض ثان ، موقتا على الاقل ، ذو دلالة خبيثة .

قال المحامي : خبيثة ؟ انك تخيفني يا خالد .

فتابع الطبيب : ما دام القلب قويا صحيحا فان الركود المسبب للورم قد يكون متأتيا من الكلية . الكلية آلة عجيبة ، معجزة في نشاطها وما تؤديه من اعمال ، ولكن الخلل الذي يصيبها خلل غالبا ما يكون غير قابل للتراجع ... يظل يستفحل حتى ينتهي بالموت . لا ... لا . لا تقاطعني يا نصري . ان الركود مستقر حتى الآن في قدم واحدة ، فاذا كانت الكلي هي سببه فسينتقل الى القدمين . واذا لم تتورم قدمي الثانية فذلك يعني ان الركود موضعي ، حادث بوجود ما يضغط على الكتلة الوعائية ، كتلة الشرايين والاوردة التي تنقل الدم من الرجل اليسرى واليها ... ورم في البطن مثلا . ورم في البطن عند رجل صحيح الجسم في الظاهر ، لا يشكو من ضعف ولا التهاب ، قد تجاوز الخامسة والخمسين من العمر ... انه لا يمكن ان يكون الا ورما خبيثا .. سرطانا !

فهل الاستاذ نصري لهذه الكلمة

واقفا من مقعده وقال :

ــ اتق الله يا رجل . ما هذا الكلام ؟ كأنك تتعمد قول هذا لتخيفني . وكل هذا لتورم خفيف في كعب قدمك ؟ قل لي انك تمزح يا دكتور ...

ولكن الدكتور خالد لم يقل لصاحبه انه يمزح ، بل القى براسه الى الوراء وهو في مقعده وراء مكتبه ثم قال :

ــ انا احادثك جدا ، ودون اي انفعال . تلف في الكلية غير قابل للتراجع او ورم خبيث ... انهما السببان المحتملان بنسبة سبعين او ثمانين بالمائة الوذمة الخفيفة التي رايتها ، او التي لم تلحظها ، في قدمي اليسرى . لقد كنت اقرر هذا لنفسي حين جئت انت ، ولذا قلت لك انك جئت في وقتك ...

وسكت الطبيب ، فظل الاستاذ نصري ساكتا مثله ، لا يدري ماذا يقول . تسرب الى نفسه ذعر حقيقي للكلام الذي سمعه من صديقه . ولكن ذلك الذعر كان يلفه اعتقاد غير جازم بأن الدكتور كان يمزح ، او انه اذا كان جادا فهو قد غالى في حديثه . اوهام الاطباء ! لقد سمع كثيرا بأن الاطباء درجوا على ان واحدهم لا يطبب نفسه اذا مرض ولا يتولى مداواة ذويه ، لان نظرته في هذه الاحوال لا تكون مجردة عن الانفعالات التي تحرف التشخيص والمداواة عن جادة الصواب . تماما مثل القاضي الذي لا يحق له ان ينظر في دعوى لها مساس به شخصيا . اراد ان يقول هذا لصديقه الا ان الدكتور خالد لم يمهله لذلك بل تابع الكلام بقوله :

ــ انت يا نصري صديقي وانت وكيلي العام . ليس اجدر منك بأن اقول له ما اريد قوله . اذا صح تشخيصي لحالتي المرضية هذه فان نهايتي تكون محتمة . قولي محتمة لا يعني شيئا ، فكل حي نهايته محتمة ... بل ان نهايتي قريبة . ذلك لانني لن احاول محاولات مرضاي في التهرب من النهاية المحتمة . ستريحني هذه النهاية اذا كانت قريبة ...

قال نصري بلهجة حنق : لا ! اسمح لي يا خالد . انك تجاوزت الحد في ما تقول . اظن انك منهك الاعصاب ، وفي حاجة الى الراحة . اسمع مني واغلق عيادتك لبضعة اسابيع . سافر يا اخي مثلما يسافر زملاؤك الى بلد بعيد او قريب .

قال الدكتور خالد بهدوء : هذا لا يحل المشكلة ، انما تحلها النهاية التي قلت لك عنها . من واجبك ان تصغي الي ، واعطني بعدها نصائحك التي لن اتبعها . اقول لك بصراحة ان الموت لا يخيفني ، وساستقبله هادئا . ويجدر بي القول ان التفكير بوشك قدومه غير كثيرا من آرائي . هل تذكر خطبة سامي لهناء ، وطردي له من هذه العيادة حين جاءني يعرض ذلك الخطبة ؟ اشعر الآن اني كنت مخطئا فيما فعلته . ماذا به سامي؟ شاب جميل وانيق والمستقبل امامه ، وان لم يكن مضمونا ذلك المستقبل . ثم ان ابنتي تحبه . انا واثق من ان هناء تحبه . فقد سمعتها تبكي ليلة ان عرفت اني رفضت خطبة سامي لها . رفضتها لمجرد انه جاءني يقول لي بصراحة انه وهناء متحابان وانه يريد ان يخطبها مني مباشرة . نعم ، بكت هناك تلك الليلة ، ورايتها في الصباح ذابلة الوجه متورمة الاجفان . لقد اخطات في عدم قبولي سامي زوجا لهناء ...

وتوقف الدكتور خالد عن الكلام برهة كانما كان يؤكد فيها ندمه ثم تابع يقول :

ــ طول حياتي حكمت عقلي في تصرفاتي وسلوكي ، واردت ان احكم العقل كذلك في تصرفات اعزائي ، ومنهم ابنتي . لم يعجبني ان اري هناء تتزوج زواج حب ، واردت لها زوجا انسانا اكثر جدارة ، من وجهة النظر العقلية ، من سامي . انا مخطيء يا نصري ، واقر بهذا الآن امامك . لماذا لا اترك ابنتي تنعم في زواجها بالحب ... بالحب الذي حرمته انا في زواجي ؟ لقد تزوجت انا زواجيا عقلانيا ، لا استطيع ان اقول غير اني قنعت به زمنا طويلا . ولكن القناعة شيء والسعادة شيء ثان . وهذا يقودني الى ان احدثك اليك في المشكلة الثانية التي سيحلها الموت يا عزيزي . هذه المشكلة لم تدر بها قبل الآن ، ولا اظنها تخطر لك ببال ، وحان الحين لان تدري بها . اني ، انا يا نصري ، احب ..

فكاد المحامي يقفز من مقعده لكلمة الحب تلفظها شفتا الدكتور خالد مثلما فعل حين تلفظ بكلمة السرطان . الدكتور خالد يحب ؟! الا انه تماسك في مكانه بينما كان الدكتور خالد يقول :

ــ نعم ، انا لم اخبرك قبل بهذا ، ولا كان منتظرا ان اخبرك به لولا هذا الورم في قدمي . في السادسة والخمسين واحب ؟! وانا من انا في آرائي وسلوكي واحب الحب الذي اعترف به اليك الآن ؟! انه الهوى المحرم الذي طالما نعبته على الآخرين وعجبت كيف يفارقونه او يقاربونه ... حب امراة رجل آخر ، هو في نفس الوقت زميل لي وصديق . منذ عامين ونار هذا الهوى تكويني وتكوي المراة التي احبها . حتى انت لم تدر بخضم الانفعالات الذي يتموج في اعماق صديقك الرزين الهادىء القسمات المستقيم السلوك ، ولا بالجحيم الذي تتقلب فيه روحه ويتعذب به جسده ... جحيم الصراع بين العقل والقلب ، بين الارادة والهوى،

وبين ما يجب ان يكون وما يحب ان يكون . هذه هي المشكلة التي قلت لك عنها وقلت لك ان الموت ايضا سيحلها ...

وكان المحامي يستمع الى كلام صديقه وهو مفغور الفم من الدهشة بينما كان هذا يقول :

ـ نعم يا صديقي ... سيحل الموت هذه المشكلة ، ومشاكل اخرى انت تعرفها وتنوء بأثقالها معي . مشكلة التحكيم التي جئت تحدثني عنها مثلا ، والانذارات التي تنوي ان تقدمها باسمي الى الكاتب العدل ، والخلافات السخيفة على الاموال واجور العقارات وريع البستان . ما اتفه ان تضيع دقائق الحياة الثمينة بمثل هذه السخافات ! كنت في صباي اجد المادة احتر من ان يشغل بها الانسان ولكني لم البث ان انزلقت الى حمأة المادة مثل غيري ، ووجدتني اخاصم انسانا على شيء اسمه مال . كلما وعيت هذا شعرت الى ان ثمة مشكلة تتخبط فيها نفسي هي مشكلة التضارب بين معتقداتي وسلوكي . الموت يا نصري ... انه حلال المشاكل ...

وهنا وثب الاستاذ نصري من كرسيه الوثير كأنما كان مجلسه مفروسا اشواكا حادة وقال :

ـ خالد ... اكاد اجن مما تقول . سكت دهرا ونطقت كفرا . السرطان .. الحب .. الموت .. اين كنت تخبىء هذا من نفسك ؟

مهما قلت لي واكدت فاني لا استطيع ان آخذ حديثك مأخذ الجد .. الا قصة الحب . دعني من اعتباراتك المثالية ... اني اذا صحت هذه القصة ، اهنؤك عليها . لست كبيرا على الحب يا عزيزي ، فان غوته احب وهو في السبعين فتاة دون العشرين ... وانت لست خيرا من غوته ، او انك لست شرا منه . اما عن الورم في قدمك ، فاسمح لي ان اتجاوز على علمك الواسع واصف لك وصفة من مأثورات جدتي يرحمها الله . قبل ان تنام هذه الليلة غطس قدمك بالماء الحار ، ومسدها بزيت دافىء ، ولفها بمنشفة ، وسأسألك في صباح غد عنها ...

قال الاستاذ نصري هذا ولم ينتظر جواب صديقه عليه ، بل خرج مهرولا واغلق الباب وراءه بشدة غير ملتفت الى الابتسامة المغرية التي رشقته بها الممرضة عند خروجه .

والواقع ان خروج الاستاذ نصري بهذه السرعة كان هروبا من ضيق شعر انه اخذ بخناقه من حديث الدكتور خالد الغريب المريع هذا . اصحيح ان الدكتور خالد مصاب بعطب قاتل في الكلية او بسرطان في البطن لا منجى له منه؟ اصحيح ان هذا الطبيب المثالي في سلوكه ، الذي كان يستمع بابتسامة الساخر المشفق الى حكايات المغامرات العاطفية التي كان يرويها هو ، نصري ، اصبح عاشقا مكبودا ؟ ثم ، اصحيح انه قد نفض يده من الحياة ، وانه استسلم الى الموت واجدا فيه حلا لكل مشاكله ؟

على ان هروب الاستاذ نصري من عيادة الدكتور خالد لم ينجه من كل هذه التساؤلات ، فظل يتقلب على نارها طول ليلته حتى ان النوم لم يطاوعه الا عند آذان الفجر . وافاق من نومه متأخرا فكان اول شيء فعله ان طلب صديقه بالتلفون فوجده قد غادر منزله الى العيادة. ومن العيادة جاءه صوت الدكتور خالد يقول :

ـ نصري ؟ نعم ... صباح الخير . كأنك الآن استيقظت . اين قضيت ليلتك البارحة ؟ سهرة من سهراتك الصاخبة ولا شك . عن رجلي ؟ صحيح . البارحة بعد ان خرجت من عندي مررت على زميلي الدكتور اسماعيل . فحصني . المسألة ابسط مما كنت اقدر . انها الدوالي . دوال في باطن عضلات الساق سببت الركود وتورم ظهر القدم . آلو . آلو . نصري ... لماذا اطبقت السماعة ؟ نعم .. كان تشخيصي صحيحا بنسبة ثمانين في المائة كما قلت لك ، ولكن حالتي وقعت في العشرين الباقية من المائة. ومع ذلك فان محاكماتي لم تضع عبثا . اني سعيد . يجب ان تشاركني سعادتي . اسمع ، لا تطبق السماعة . سازوج هناء من سامي ، وسألتقي هذا المساء بثينة ... من بثينة ؟ انها ... ترى اني بحت لك بسري كله . اذا كان من ذنب فهو في عنقك ، الم تقل لي ان غوته وهو في السبعين احب فتاة في العشرين ؟ اريد ان احدثك في القضايا ... آلو ... آلو .. نصري الا تسمعني ؟

ولم يكن الاستاذ نصري يسمع كلام الطبيب . كان قد القى بسماعة الهاتف من يده بعنف وكوم اللحاف فوق رأسه يريد ان ينام كل نهاره ليستدرك نوما حرمه اياه خوفه على صديقه الدكتور خالد وقلقه طول الليل من ذلك الورم اللعين الذي اختل ظهر قدم صديقه اليسرى وعنق ذلك القدم .

الرقة   **عبد السلام العجيلي**

عصفورك آت

صباح الدين كريدي

دمشـــق

عصفورك آت ، برفيف القبلات الاولى
في اطراف الصفحة السفلى ..
وصياح البط البري ..

يعبر سهل الفرح الضيق ، وحقول الموت
يرشف من ينبوع جبلي قطرة ماء
يهدأ حينا بين زهور الدفلى ..
ثم يتابع ، نحوي ، خط الامطار
يلهب أفراس الريح ..
عند مغيب الشمس يحوم حولي
ثم يعشعش في صدري وينام قرير العين
يتركني أسهر وحدي !

تحت وشاح الليل النجمى
يستيقظ فرح الاعماق الصافي
يتسرب في روحي كفروع الانهار
يتدفق .. يزبد ، يعلو ، يحمل جسمي ...
لا أرض هنالك تناى بي
أتراجع داخل وطني العائم
أضرب في شطآن النسغ الحي جذوري
تخضوضر في اغصاني الاوراق
ألمس جسمي عفوا ، تتنهد في الاعماق ..
ثم أتابع رقصي .. رقص العشاق العشاق
يا ليل ! حبيبي أرسل يسال عني
يا ليل ! حبيبي فرح مزهو مثلي
يا ليل! حبيبي يعرف طعم السهد وأسر الاشواق
يا ليل ! حبيبي يملأ آفاق الصمت غناء
يا ليل اسمع
يا ليل اشهد
نحن العشاق العشاق العشاق

عند خيوط الشمس الاولى
عصفورك ينقر صدري
يضحك في وجهي ضحكة شمس بين الاغصان
يحمل غصنا من أشجاري .. ثم يسافر
يتركني ثانية وحدي !!



الدكتور محمد رجب البيومي

العماري في حديث زميلين

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كثيرا ما يدور بينك وبين احد الادباء حديث عن قضية ادبية او شخصية علمية ، فيجري لسانكما عفو الخاطر بما يصلح ان يكون زاداً للقارىء . ولعل أبـا حيـان التوحيدي قد فطن الى ذلك حين الف كتابـه الرائـع « الامتاع والمؤانسة » منتزعا من احاديث المجالس ، فعاد على قارئه بالنفع الصائب ، لذلك شعرت برغبة قوية في ان ادون خلاصة حديث ادبي بيني وبين احد الزمـلاء الافاضل دار اكثره عن الدكتور علـي العماري الباحث العالم الاديب ، وارجو ان اوفق الى تركيز اهم ما تناقله الحديث .

بدانا نتحدث عن مقامات البديع فذكر محدثي : ان الدكتور زكي مبارك قد باهى باهتدائه الى نص في زهـر الآداب يدل على ان الهمذاني قد إقتفى أثر ابي بكر محمد بن دريد صاحب الجمهرة اذ اغرب بأربعين حديثا استنبطها من ينابيع صدره ونحلها بعض الاعراب ، فجـاء البديع ليحاكيه بما ابدع من إفتنان ، فقلت تعقيبا على ذلك : ان مباهاة الدكتور مبارك باكتشافه الادبي مشهورة ذائعـة وقد دار حولها نقاش تصدى لغباره الرافعي وغيره مـن اعلام الجيل . ولكن الدكتور علي العماري قد عفى علـى ذلك باكتشاف صائب حين اثبت ان البديع قـد اقتفى أبا المطهر الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادي لامـور تتضح من المقارنة بين اثر البديع واثر أبي المطهر وقـد اوجزها العماري في ست نقاط تنطق بالتشابه القريب بين الاثرين مما يؤكد انتماء البديع لابي المطهر . وقد كان إكتشاف العماري المدعم بحقائقه لهذا التشابه الصريـح مما يقطع قول كل خطيب !

قال صاحبي : ان العماري باحث دءوب . وآراؤه الجديدة في الادب اكثر من ان تحصر فقـد كتب فصولا قيمة عن مالك بن الريب وتأبط شرا وغيرهما مـن ذوي الشعر المشترك لينفي الزبد عن كثير من الحقائق . وكان له من سعة صدره وهدوء نفسه مـا أعان على جـلاء الغامض وتزييف البهرج ، واذكر انـه حين قام برحلته الاولى الى السودان نهض بدراسة وافية للشعر السوداني اخذت حلقاتها تتتابع على صفحات « الرسالة » ، وقـد تجلى فيها صبر الدارس وصدقه ، في زمن صارت فيه الدراسات المعاصرة ـ او كثير منها ـ اما شغفا بالهـدم والتسفيه ، واما تزلفا مفرضا لبعض المنشئين ، ولكـن العماري قـد درس البواكير الاولـى للشعـر السوداني المعاصر دراسة الباحث المستقل الـذي يعنـى بتسجيل الظواهر ، واكتناه الغوامض كمـا تنطق بهـا النتائـج الصريحة دون اعتساف ، ولو جمعت هذه الفصول فـي كتاب لهدت الى خير كثير .

فقلت معقبا على ذلك : اني اعرف معدن العماري في البحث الادبي من يوم قرات فصولـه الرائعة عـن « لغة قريش » فقد هداه البحث العميق الـى توهين القضية القائلة بـأن لغة قريش قـد سيطرت على لغات القبائل العربية لمكان اصحابها مـن السيادة الدينية ، والزعامة العربية ، وقفول التجـارة وصدورها الـى الاصقاع المختلفة ، وقيام عكاظ باستجادة المأثور مـن الخطب ، والمطبوع من القصائد ، حتى جاء الاسلام ولغة قريش هي الذائعة المختارة فنزل بها القرآن دون غيرهـا من اللغات ، هكذا يقول كثير ممن ارخـوا للادب العربي في منشئه ، ولكن العماري واصل الفحص الدارس حتى اهتدى الى ان جميع القرآن لم ينزل بلغة قريش بدليـل ما وجهه خاصة القريشيين من اسئلة عن كلمات لا يدرون معانيها ، ولم يقف الخلاف عند الكلمات بل تعداه الـى مجاوزة الاصول القرشية الى غيرها من اصول اللهجات لدى القبائل الاخرى ، فقريش ـ على سبيل المثال ـ لم تكن تهمز ، وقد جاء القرآن بالهمز ثم استفاض العماري في تأكيد ذلك بنصوص حاسمة تصلح ان تكون نـواة لرسالة علمية تأتي بالجديـد ، ولا تقتصر ـ كالذائـع لدينا ـ على ترديد المسلمات ، وقد كانت مجلة «الازهر» في سنتها السابعة عشرة ميدان هذه الابحاث .

قال صاحبي : لقد تحدثنا عـن بحـوث العماري الادبية وهي علـى دسامتها الاصيلة ، لا تساوي شيئـا جوار فتوحه العلمية في حقل البلاغة العربية فأيـن انت

منها ؟ ولم يكن السؤال مفاجئا لدي فقد كنت اتوقعه واكاد أسبق اليه ، لذلك سارعت أجيب محدثي فأقول في اغتباط .

ان كل دارس للادب في مجاله الجاد الدءوب لا يبتعد كثيرا عن حقل البلاغة ، وقد اكثر العماري من دراساته البلاغية لظروف معاصرة دفعته الى الافاضة الشافية والتحليل الكاشف ، واذكر اني كنت ازامله في تحرير مجلة « الرسالة » حين نهض بالرد على استاذنا الكبير امين الخولي رحمه الله في بحوثه التجديدية ، وما كنت ولا كان العماري ممن يجهلون مكانة الخولي في الدرس المستنير والبحث المثمر ، ولكن الرجل في شغفه بالتجديد قد تتبع عثرات السابقين عثرة عثرة دون ان يجلو ما اهتدوا اليه من الراي المصيب ، وكذلك يفعل اكثر من يتزعمون التجديد علميا وادبيا اذ تدفعهم الحماسة المتوقدة الى اغفال ما لا يجوز ان يغفل من صائب السابقين وسديد التراث ، فنهض العماري ليقيم الميزان بالقسطاط ، فاذا ادعى استاذنا الامين ـ مثلا ـ ان القدماء لم يفطنوا الى صلة النفس بعناصر البيان من تشبيه واستعارة وكناية ، اخذ العماري يذكر ما للقدماء من سداد في هذا المجال ، واذا تنكر الباحث المجدد لمسائل الفصل والوصل لامور يراها ، ثبت الاستاذ لمناقشته فيوافقه حين يرى الحق معه في شيء ويساجله حين يرى الحق تجاوزه في شيء آخر ، وكان الدكتور العماري في ذلك رجل الموقف وبطله السافر ، ولو لم ينهض ببحوثه الصائبة لاحتجنا الى باحث سواه . ولن نجد من امثاله غير القليل .

نظر الي صاحبي نظر المتعجب وقال في تطلع ، كنت إظن ان العماري قد تبنى وجهة النظر القديمة وحدها ؟ وانت تقول انه اقتنع بشيء وخالف في شيء آخر .

فسارعت اقول : ان تقييم العماري في الحقل البلاغي لا يقتصر على ردود الرسالة وحدها اذ لا بد لدارس العماري من ان يتابع كل بحوثه البلاغية وقد تعددت في مجلات « الرسالة » و « الازهر » و « رسالة الاسلام » ، وذلك فوق رسالته الجامعية التي دارت حول قضية اللفظ والمعنى في الدراسات البلاغية والنقدية منذ الجاحظ الى اليوم : اقول لا بد لدارس العماري ان يقرأ بحوثه المتتابعة عن واضع علم البيان ومناقشة ابن خلدون في رايه الخاص بذلك ثم عن هدم المجددين وبنائهم ، اما مقاله القوي عن حاجتنا الى التجديد فقد اوضح ما يأمل من التجديد المفيد في الميدان البلاغي بعد ان حلل معاطب الدراسة البلاغية في القديم والحديث وارجعها الى آفتين خطيرتين ، هما دراسة القاعدة دون تطبيق لدى قوم ودراسة الامثلة دون قواعد لدى آخرين ، وقد انصف انصافا لا نتطلب اكثر منه من دعاة التجديد حين دعا الى نبذ الشواهد السقيمة التي تكررت في الكتب البلاغية تقليداً ومحاكاة وتناقلت طي العصور من مؤلف الى مؤلف مع ما تحمله من جراثيم التكلف والركاكة والجدب !

كما صلصل صلصلة توقظ الصم في بحثه المعنون بهذه العبارة الجامعة « قواعد بلا شواهد » اذ قارن بين صنيع المطبوعين من اساتذة البلاغة كصاحب « دلائل الاعجاز » حين يجعل الذوق الفطري المهذب مرجع الحكم النقدي فيما يناقش من أثر وبين من حاولوا تقعيد العلوم البلاغية ، اذ يرسمون صورة القاعدة ثم يجتهدون ان يضيفوا اليها ما يمكن ان يفترضه العقل من مسائل ، وتكون النتيجة الكريهة ان نجد سيلا من القواعد العقلية لا يجد مثاله الحي من اثر ادبي في قصيدة او خطبة او رسالة مما صدر عن فصحاء العربية في ازهر عهودها الخصيبة ، فضلا عن مأثور القرآن وجوامع الكلم من الحديث ، حتى ارتطم بعض هؤلاء بأقسى الصخور حين تكلفوا وضع الامثلة من اساليبهم الجافة ذات الحد والرسم والجنس والفصل فعادت على الفن البلاغي بما تعود الآفات الزراعية على ناضر الفرس وزاهر الثمر !

ومع هذه الحملات الهادفة على أصحاب هذا المذهب فقد شاء العماري الا يغمط تاريخهم كل الغمط اذ اخذ ينقب في المطاوي الدفينة عن تراجم السعد التفتازاني والسيد الجرجاني والفخر الرازي وعضد الدين الايجي فاذا اهتدى اليها نشر خلاصتها في بحوثه الشافية دون انتقاص ، وكأني بالرجل قد شاء ان يضرب المثل الحي في تعمق البحث واستيفاء القول ، لينصف مخالفيه ومؤيديه اذ هم جميعا اهل جيش واحد يعملون تحت راية واحدة وان تعددت المواقع واختلفت الجبهات .

قال محدثي : اخالك انصفت العماري فيما ذكرت ولكني اضيف الى قولك : ان الدكتور العماري ذا حدس صائب يهديه الى ابواب من البحث يكون فتاها الاول ، ومن ذلك انه تصدى تصديا ملحفا للحديث عن مذهب « الصرفة » الذي نسب الى النظام في رايه عن اعجاز القرآن ، فذكر ان جمهرة المتكلمين عن معنى الصرفة يذهبون الى انه صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليه ! وهذا معنى كرهه العماري لاول مرة يفد عليه ، وهداه حدسه الصائب الى ان امثال النظام والجاحظ والشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي لا يمكن ان يقولوا بالصرفة على هذا المعنى ، وهم اولو الفكر الصائب والنظر السديد ثم اجتهد الرجل اجتهادا قويا في فهم المذهب على نحو يجعله موضع القبول من هؤلاء الاعلام فصدر عن بحث واجتهاد !

قلت يا اخي : لقد قرأت ما كتب العماري عن هذا المذهب في مجلة « الرسالة » عند نقده للدكتور سيد نوفل وفي مجلة « الازهر » عند توضيحه لما فهم من رأي القدماء ثم في مجلة « رسالة الاسلام » عند مناقشته للاستاذ توفيق الفكيكي ثم فيما اخرجه من بحث مستقل بسلسلة الاستاذ عبد الله السمان فلم اوفق الى بلورة

هذي القوافي عذارى

مهداة الى اخي وسميي الشاعر فوزي عطوي

حملت منك الى ايامنا شمما   ورحت أعلي على ابراجه القببا
من كل قافية جنية سمرت   وطوفت من صباها العطر والحببا
ونادمت ، راقصت ، غنت تدللها   في كل ثغر له بوح وما نضبا
تجدلت، نعمت، ضج العبير بها   وساح منها شميم الصاخبات صبا

سمعت هزج صبايا ، كل غانية   في لحظها أنف العمر الذي ذهبا
ولينها ملس تـاه الغواء بـه   كأنه ماجن يفري بما رغبا
على تمالسه هف الرقاق له   سمائر عطفت ، او مدنف غضبا
تلك العذارى حميمات عذارتها   ما استملحت خاطرا الا اليها صبا

نديم همك ما قارورة همست   على الفواغي ، فجن السامرون ابا
وغلغلت في المراض الذابحات غوى   نهجا الى خاطر في ظنه وثبا
صفاؤها أي عين ماؤها القـ   وصدقها جاوزت في سكبه السحبا

نديم همك أطياب بسلسلها   ما همها زائف في زيفه هضبا
حد كما السيف، ان يضرب يقم سننا   كالحق صارخة ، والعزم ملتهبا
وزينة ، ما غواني الحقل مائسة   بكل لون على أزيائها انسكبا
مطارف ، ما عروس في تنعمها   ابهى متى بوحة اذكت بها الطربا
تلك الملوك بتيجان أسرتها   والملهمون على اكوانها الادبا
تحاور الحسن رفها في دقائقه   ملساء توقظ في تضييعها الطابا
هذي القوافي عذارى خلتها سلبا   أتيتها ، كنت منها النهب والسلبا
مثل الفوارس ، نبل في تلطفها ،   ونبلها انها خلت لك السببا

فوزي سابا

رأيه بلورة تكون نهاية المطاف ، واذكر اني أرى في معنى الصرفة رأيا خاصا بي . وهو ان العرب صرفوا من لدن انفسهم عن المعارضة حين ايقنوا مبدئيا بعدم جدواها معترفين بدرجة القرآن العالية في الاعجاز ، وهو راي يجعل الخلاف يكاد يكون لفظيا بين النظام وغيره من ارباب البيان ، ولست اعني بذلك معارضة العماري في رأيه ولكني اشير الى فهم أتصوره دون استدلال .

لقد تشقق الحديث بيننا عن العماري دون قصد فرأى صاحبي أن يختمه بهذه الطرفة الادبية ذات التاريخ الهام في المعارك الادبية المعاصرة اذ قال : لعلك تذكر معركة الدكتور زكي مبارك الحامية مع الاستاذ السباعي البيومي على صفحات مجلة « الرسالة » سنة ١٩٤١ بشأن الشيخ الموصفي وكامل المبرد ؟

قلت : اذكر ذلك ولا أنساه ! فابتسم صاحبي وقال : لقد اوقدها الاستاذ علي العماري وكان طالبا بكلية اللغة العربية ، فسمع عن محاضرة بدار العلوم يلقيها الاستاذ السباعي عن المبرد فذهب الى استماعها ، وانكر من المحاضر الكبير هجومه على المرصفي ، فتصدى للرد عليه بأسئلة صريحة تتطلب الجواب ، فتورط المحاضر في الاجابة بما أشعل اللهيب ، فانتقلت المعركة الى « الرسالة » وكان بطلها الطالب الناهض علي حسن العماري الذي أعد الوقود بما هيأ من سؤال وانتظر من جواب .

الفيوم ـ دار المعلمات   **محمد رجب البيومي**



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

زرع الشجرة

ويقولون : زرع البستاني أشجار البرتقال . والصواب : غرسها ، لان الغرس مخصوص بالشجر ، والزرع بالحب والبذر .

الزريعة

ويطلقون على الحب الذي يزرع اسم زريعة (بفتح الزاي وتضعيف الراء) والصواب : زريعة (بفتح الزاي وكسر الراء) . و (الزريعة) أيضا هي الارض المزروعة .

الازعر

ويقولون : فلان رجل أزعر ، أي : سيء الخلق شرس . والصواب : فلان رجل زعرور (بضم الزاي وتسكين العين) .

ونقول أيضا : في خلقه زعارة (بفتح الزاي وتضعيف الراء) او زعارة (بتخفيف الراء) .

والزعرور هو ثمر أحمر واصفر له نوى صلب (بضم الزاي لا فتحها) ، وواحدته زعرورة .

وفي التاج واللسان : الزعران : الاحداث .

اما (الازعر) فهو من قل شعر رأسه . ومن قل خيره (مجاز) ، وفعله زعر يزعر (من باب علم) زعرا . (بفتح الزاي والعين) .

الزعتر

ويقولون : الزعتر ، وهنالك أسرة صيداوية اسمها أسرة الزعتري . والصواب : السعتر او الصعتر ، والسعتري او الصعتري ، كما جاء في معجم الزراعة للشهابي .

والصعتر : نبت معروف ، وهو جنس نباتات من الافاويه من فصيلة الشفويات .

والصعتري هو : ١ ـ الشاطر (بلغة العراق) ، ٢ ـ الكريم والشجاع .

متزمت

ويقولون : فلان متزمت في رأيه . والصواب : فلان متشبث برأيه ، لان المتزمت (بضم الميم الاولى وفتح التاء والزاي وكسر الميم الثانية وتشديدها) هو : الرزين الوقور .

وفي صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان من أزمتهم (بفتح الهمزة وتسكين الزاي وفتح الميم) في المجلس ، أي : من أرزنهم وأوقرهم .

والفعل هو (تزمت) . ورجل متزمت ، وزميت (بكسر الزاي وتضعيف الميم المكسورة) ، وزميت (بفتح الزاي وكسر الميم) . وفيه زمانة (بفتح الزاي) ، أي رزين وقور .

الزهرة

ويطلقون على الكوكب المشرق من سيارات النظام الشمسي ، واقرب سياراتها اليها ، اسم الزهرة (بضم الزاي وتسكين الهاء) . والصواب : الزهرة (بفتح الهاء) .

أما الزهرة (بتسكين الهاء) فمعناها : ١ ـ البياض النير ، ٢ ـ الاشراق من أي لون كان .

وكوكب (الزهرة) شديد اللمعان ، ويكون تارة نجمة الصبح ، وطورا نجمة المساء . وقد كانت الزهرة معبودة بعض عرب الجاهلية المجاورين للشام والعراق ، وكانوا يسمونها العزى (بضم العين وفتح الزاي وتشديدها) . اما قدماء اليونان فكانت عندهم الهة الجمال ، ويسمونها فينوس .

زهور

ويجمعون كلمة زهر (بفتح فسكون) على زهور . والصواب : هو ان زهر شبه جمع ، ويقال له اسم جنس جمعي ، وواحده زهرة (بفتح فسكون ففتح) وزهرة (بفتح الاحرف الثلاثة) . وجمع (زهر) هو (ازهار) ، وجمع (ازهار) هو (أزاهير) . اما الذين يجيزون ان يكون جمع الجمع هو (ازاهر) فهم مخطئون .

وقد عد كثيرون جمع (فعل) بفتح فسكون ، على (فعول) بضم فضم ، مما يغلب لا مما يطرد . وقالوا انه سمع في : حرف وسطر ونفس وبحر وشهر وغيرها ، ولكنه لم يسمع في قطر ووقت وورد وسهم ، ولذا يكون الفصل للمعاجم . (راجع ما ذكرته عن « أبحاث » في بريد الاديب ، عدد تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠) .

زوج حمام

ويقولون : اشتريت زوج حمام ، والصواب : اشتريت زوجين من حمام . والعرب لا تقول للواحد من الطير (زوج) ، بل للذكر (فرد)، وللانثى (فردة) . ويقال للاثنين : هما زوجان .

وعندما نقول : اشترينا زوجي (بتسكين الياء) حمام ، فاننا نعني ذكرا وانثى . راجع الآية ٤٠ من سورة هود حين خاطب تعالى سيدنا نوحا عليه السلام .

وقد نعني بقولنا : (هذان زوجا حمام) ذكرين او انثيين . وقد نعني ذكرا وانثى كما جاء في الآية الكريمة .

ونقول للزوج وقرينته : هما زوجان ، وكل واحد منهما (زوج) ، وهي اللغة العالية . والنجديون يقولون : المرأة زوجة الرجل .

وأجاز التاج واللسان والصحاح ومتن اللغة والمحيط ان يقال

للاثنين : هما زوجان وهما زوج .

أما في القرآن الكريم ، فالزوج يعني الفرد . وقد أراد سبحانه وتعالى عندما قال في الآية ١٤٣ من سورة الانعام ، والآية ٦ من سورة الزمر : ثمانية ازواج ، أراد ثمانية افراد .

وانا أوثر استعمال كلمة (زوجة) للقرينة بدلا من كلمة (زوج)، خوفا من الوقوع في التباس ، رغم ان اللغويين يرون ان اطلاق كلمة (زوج) على القرينة هي اللغة العالية .

تزوجها ، تزوج منها

ويقولون : سافرت فلانة الى بلد فلان وتزوجته ، او : وتزوج منها . والصواب : تزوجها ، أو تزوج بها (والثانية لغة قليلة عن يونس ، وانكرها صاحب « التهذيب ») .

راجع الآية ٥٤ من سورة (الدخان) ، والآية ٢٠ من سورة (الطور) .

وقال الفراء : تزوجت بامرأة : لغة في ازد شنوءة .

زاد عنه

ويقولون : زاد عنه في الكرم . والصواب : زاد عليه . وقد روي عن ذي الاصبع العدواني قوله :

وانتم معشر زيد على مائة فاجمعوا امركم طرا ، فكيدوني

زاد في جهده

ويقولون : زاد الطالب في جهده الدراسي . والصواب : زاد الطالب جهده الدراسي ، لان الفعل (زاد) يستعمل لازما ومتعديا . يقال : زاد الشيء : نما (ضد نقص) .

زاده : جعل فيه الزيادة . زاده الله خيرا : وفر عليه الخير .

وفعله : زاد الشيء يزيد زيدا (بفتح فسكون) ، وزيدا (بكسر الزاي) ، وزيادة ، وزيادا ، ومزيدا (بفتح فكسر) ، ومزادا ، وزيدانا (بفتح فسكون) وهو مصدر شاذ .

والزيد والزيد (بفتح الزاي وكسرها) : الزيادة .

ما زلت مشمولا

ويقولون : اني بخير ما زلت مشمولا بعطف الله . والصواب : اني بخير ما دمت مشمولا بعطف الله .

لا زال الغلاء فاحشا

ويقولون : لا زال الغلاء فاحشا . والصواب : ما زال الغلاء فاحشا ، لان أفعال الاستمرار الماضية يجب ان تنفى بحرف النفي (ما) لا بحرف النفي (لا) .

وهنالك حالة واحدة تستعمل فيها (لا) قبل (زال وأخواتها) ، وهي حالة الرجاء والدعاء ، فنقول :

١ ـ لا زالت صحتك موفورة . (دعاء) .

٢ ـ لا برحت مجاهدا . (رجاء) .

تساءل عن الامر

ويقولون : تساءل الرجل عن الامر . والصواب : تساءل الرجلان او الرجال عن الامر ، أي : سأل احدهما الآخر ، أو سأل بعضهم بعضا . وقد يخفف الفعل (سأل) على البدل ، فيقال سال يسال (غير مهموز) ، وهما يتساولان .

والفعل (تساءل) من الافعال التي تقتضي المشاركة .

السبانخ

ويسمون البقلة المعروفة سبانخ او سبينخة (بضم ففتح فسكون فكسر) . والصواب : الاسفاناخ (بكسر فسكون) . وهي معربة قديما من الفارسية . وقد اعتادت العرب ان تحول الباء الفارسية (ب) فاء ، ولذلك قالت اسفاناخ بدلا من اسپاناخ (الباء ذات ثلاث نقط) .

والاسم الصحيح لهذه البقلة هو (الرحى) بفتح ففتح . وهو اسم أصله عربي ، ولفظه سهل .

المسبحة

ويقولون : في مسبحته تسع وتسعون خرزة . والصواب : في سبحته، (بضم فسكون ففتح) . والسبحة : هي خرزات يعد بها المسبح تسبيحته ، وهي « مولدة » ، ولم اعثر في المعاجم على كلمة يمكن ان تحل محلها ، ولا بأس باستعمالها .

وللسبحة عدة معان أخرى ، منها :

١ ـ الدعاء . تقول : قضيت سبحتي .

٢ ـ صلاة التطوع ، أي النافلة ، لانها مسبح (بضم ففتح فباء مفتوحة مضعفة) فيها .

٣ ـ القطعة من القطن ، ٤ ـ سبحة الله : جلاله ، ٥ سبحة وجه الله : انواره .

السوابح

ويستعملون كلمة (السوابح) للخيل السريعة ، وهو استعمال مجازي ، وجائز لغة ، ولكنني أنصح باستعمال كلمة (السوابق) للخيل المجلية في ميادين السباق ، لان الركض برا أسرع من السباحة السريعة ، ولان الحقيقة عندي أنصع ديباجة من المجاز .

السترة

يقولون : لبس سترته (بكسر فسكون) . والصواب : لبس سترته (بضم فسكون) ، كما تسمى في بلاد الشام . و (السترة) بالضم ، هي الرداء الذي يستر النصف الاعلى من البدن ، وهو مشقوق من خلفه . وقد وضع له مجمع دمشق اسم « الفروج » (بفتح فتضعيف) في الجدول ، رقم ٩٢ . وكلمة « فروج » مصرية .

قدم استقالته من الخدمة

ويقولون : قدم الى رئيسه استقالته من الخدمة . والصواب : استقال رئيسه (بفتح السين) كما جاء في التاج واللسان والمحيط والصحاح ومتن اللغة . ومعناه هنا : طلب من رئيسه اعفاءه من الخدمة ، او العمل الذي يقوم به .

ويعديه الاساس ومتن اللغة والمصباح واقرب الموارد الى مفعولين، فيقولون : استقال رئيسه الخدمة .

مسجد الجامع

ويخطئون من يقول : مسجد الجامع (بكسر العين) ، ويقولون : ان الصواب هو المسجد الجامع (بضم العين) . والحقيقة هي ان كلتيهما صحيحة . ويقصد ب (مسجد الجامع) : مسجد اليوم الجامع . ومثله : دين القيمة (بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة)، أي : دين الملة القيمة .

سيكارة

ويقولون : أشعل سيكارة . والصواب : أشعل لفيفة او لفافة (بفتح لام الاولى وكسر لام الثانية) ، كما وضعهما مجمع دمشق في الجدول، رقم : ٦٣ او دخينة (بضم ففتح فسكون) كما أطلقها الاب انستاس ماري الكرملي على السيكارة ، ودخنة (بضم فسكون) كما اطلقها الكرملي نفسه على السيكار في جدوله ، رقم ١٤ .

اما كلمة (سيكارة) فهي فرنسية المصدر .

صيدا ـ لبنان محمد العدناني

اشواق مغترب

سميحة التوبة

الرياض

لست أدري
كيف خبأت وراء الموج أسراري
وكانت مثل أزهار البنفسج
يا ابنة الغابات والريح الحزينه
يا سرابا ضاع عمري أجتنيه
خلف أبواب المدينه
تائها عبر صحارى من غيوم
باحثا حول الدروب المستكينه
كيف ذاب السحر في عينيك
أي سر فيهما ..
يمنح الصمت نداء
وهو آت خلف أبواب المساء

كيف كانت ملء عينيك حكايات خرافه
وحكايا « ألف ليله » ؟
ومتى ماتت .. وفي أي العصور ؟
وأنا أصبحت سرا
في سراديب عيون .. في تسابيح زهور
ذات يوم
يا ابنة العطر السجينه
كانت الشمس حزينه
والتراب الظامىء المحزون
في عينيه جوع ..
مثلما كانت حكايانا عن الحب الخرافيّ
ومثل الشوق في قلب العصافير الصغيره
للهواء الصارخ المجنون
للنشوة .. للصمت .. لضحكات صغيره
كان فينا ..
ذلك الشوق الى الدمع الغزير
للجمال المبدع الغافي
وللفجر .. لعينيّ أميره
كان فينا ..
ذلك الشوق الى السير الطويل
لرياح غجريه
تسرق الاسرار منا
في ضحى ليل جميل
عطش نحن الى الشمس البعيده
الليالي قمريه
لنسيم حالم .. ولبسمات سعيده
عطش نحن الى اللقيا
الى الافراح والحزن
لأيام جديده .

كان النور على المسرح نورا شاحبا . في ثياب العصور الغابرة ، شاحبة كورقة اطل عليها الخريف فجأة ، كانت الممثلة الاولى تتوسد الارض .

صوتها المتهدج وحده يملأ المكان قائلا :

« من وريد الى وريد ، اشعر باللهب المحرق
يعدو متنقلا في كل جسدي
ما ان اراك .
عبر انطلاقاتي المتلهفة اليك
عبر هيامي هذا غير المحدود
اشعر اني فقدت لساني ، وضاع مني الصوت .
غمامة غريبة تحجب بصري
فلا اعود اسمع شيئا
شاحبة ، لاهثة ، مصعوقة ، خائفة
اهوى في متاهات الوهن العذب
تنتابني الرعدة ، فارتجف واخال
نفسي على وشك الموت .
من وريد الى وريد يعدو اللهب في
كل جسدي
ما ان اراك »

كان الناس في القاعة خاشعين ، والكلام ينساب . كتساقط لآليء.. كسمفونية رائعة .. كالطبيعة الجميلة حين يحلو لها ان تتعرى . كانت كلها صوتا . امواج من الصوت تذكر بورقة من اوراق الخريف تتكسر . ثم برزت يداها ، يدان تحاولان القبض على امل . امل ما زال يومض امامها ، بكل مفاتنه الساحرة . امل احرقها ، اتلفها .. جعلها حطاما على طريق .

كان النور شاحبا على المسرح والناس في خشوع .

★

قالت الطالبة وهي ما تزال تحت تأثير سحر المسرحية التي شاهدتها ليلة الامس .

ـ لقد شاهدتك ليلة امس. كنت مدهشة . كان الشعر ينساب منك كالموسيقى .

ردت الممثلة التي كانت واقفة بقربها بين جمهور المشاهدين ، ردت دون اكتراث :

ـ احقا ؟

ثم ارتفعت ضحكتها العالية لتختلط بضحكات جمهور المشاهدين ، وتصاعدت من فمها رائحة الكحول القوية .

قالت الطالبة وهي تنظر اليها في شبه عتمة الصالة :

ـ ما بالك تقفين اليوم هنا ، بين الحضور ؟

هزت الممثلة الاولى كتفيها قائلة : هي مسرحية هزلية كما ترين فلا دور لي فيها .

وفجأة قبضت على ذراع الطالبة بعنف وصاحت : الا انظري ، انظري اليه .. يا له من ممثل فذ .. تصوري .

المخلب

بقلم الآنسة رينه عبودي

انه في كل يوم يبتكر لدوره حركات جديدة يثير بها الضحك .

وهناك على خشبة المسرح ، كان السيد البخيل ينهر ابنه على تبذيره ويلوح بالعصا لخادم ابنه الشاب ، اما الجمهور الذي كان مؤلفا عصر ذلك اليوم ، من طلاب وطالبات ، فقد كان في منتهى المرح . كان صوت الضحكات والتعليقات يطغي على الحوار الذي يدور على خشبة المسرح هناك .

قالت الطالبة : لم لا تجلسين ؟ لقد تخلى احدهم لك عن مقعده .



اجابت الممثلة دون ان تعيرها انتباها : لا ، افضل الوقوف .

كانت الطالبة تحدق بها في شبه ظلام القاعة ، لقد اثارها وجود هذه الممثلة العظيمة الى جوارها .

قالت : لقد اخذت بسحر التمثيل البارحة ، اما اليوم .. الا ترين ان الحفلات التي تقام للطلاب كثيرة الصخب .. كان بودي ان احصل على بطاقة لحفلة المساء لكن كل البطاقات نفدت .. كان يجب ان تمكثوا فترة اطول في بلدتنا .

وحين نظرت الى الممثلة لاحظت انها لم تسمع من كلامها شيئا . كانت تقف الى قربها في اخر الصالة الصغيرة وذراعاها معقودتان على صدرها ، كانت تهتز تارة الى اليمين ، تارة الى اليسار بقدها النحيل ، مرددة بين الحين والحين وهي تضحك : يا له من ممثل فذ.. انظري اليه .

قالت الطالبة بصوت مرتفع : ان مهنتكم لمثيرة حقا ..

اجابت الممثلة : اجل .. لا بأس.

قالت الطالبة : ثم انكم تتجولون في كل بقاع الارض .. انا لم اغادر بلدتي هذه مطلقا .. وثقي ان مجيء فرقتكم هذه لون حياتنا المملة جدا .. قلما نشاهد مسرحيات جيدة هنا .

نظرت الممثلة اليها طويلا في شبه عتمة الصالة . كانت الطالبة تقف بقامتها الفارعة وشعرها القصير الاشقر ، ورزمة من الكتب في يدها . اما ياقة قميصها الابيض فقد كانت متألقة . ابتسمت الممثلة لها .

ـ لكن لم لا تجلسين ، لقد تخلى لك ذلك الفتى عن مقعده .

قالت الممثلة الاولى وهي ما تزال تبتسم ، ابتسامتها الحانية الساخرة :

ـ خذي المكان انت ان شئت .. انا سعيدة هكذا .

كانت تميل في وقفتها يمينا ويسارا كلما ضحكت ، فكانت الطالبة تشد على كتبها في كل مرة

مبتعدة عنها قليلا ، خاصة اذا مستها اصابع الممثلة الباردة . كانت تحاول ان ترهف السمع لفهم ما يدور هناك على خشبة المسرح ، لكن لا النور ، ولا الثياب الزاهية ، ولا الحركات غير المتوقعة كانت تبعدها حقا عن اصرار عن هذه الضحكة المرتفعة العصبية ولا عن هذه الاصابع التي كانت تشبه المخلب والتي كانت تلمسها بشكل شبه عفوي في كل لحظة .

قالت بعناد الاطفال : اني افضل مسرحية الامس .

ولم تسمع الممثلة الاولى اقوالها، كانت منصرفة الى النظر في ناحية معينة من الصالة . نظرت الطالبة بدورها وقالت : ارى هناك الممثلة الشقراء التي كانت تمثل البارحة دور قروية بضفائر طويلة مربوطة بشريط ازرق . لكن ما بالكم جميعا معنا اليوم في الصالة ؟

قالت الممثلة الاولى : ان لها في هذه المسرحية دورا قصيرا جدا .. في البداية فقط .

كانت المراة تقف باغراء شديد قرب العمود الابيض الضخم .. ثم ببطء مثير التفتت الى الوراء ونظرت وكأنها تبحث عن انسان معين . كان وجهها ، وجه طفلة جميلا ومستبدا .

ــ الا تجدين ان الامر شيق حقا؟ ان يشاهد المرء مسرحية ما مع ممثلين شاهدهم بالامس يمثلون ؟ لكنها حين ادارت راسها نحو الممثلة الاولى لم تجدها الى جوارها . لقد هوت في المقعد هكذا فجاة وغابت عن الاسماع ضحكتها المرتفعة . عجبت الطالبة الشابة من الامر ثم خيل اليها انها تسمع في الصمت صوت تكسر ورقة يابسة من اوراق الخريف ، صوتا يشبه الانين يقول :

« شاحبة ، لاهثة ، مصعوقة ، خائفة ،

تنتابني الرعدة ، فاشعر مرتجفة أني على وشك الموت »

غابت الممثلة الاولى في شبه ظلمة الصالة ، غارت في المقعد ، لم تعد تهتز بنشوة يمينا ويسارا ، وكأن بالطالبة تسمع صوت الممثلة المتهدج قائلا :

« اللهب المحرق يعدو من وريد الى وريد

في كل جسدي ، ما ان اراك .

عبر انطلاقاتي المتلهفة اليك

عبر هيامي اللامحدود .

غمامة تحجب الاشياء عن ناظري

فاقع في متاهات الوهن العذب ..

شاحبة ، خائفة ، خائفة ، قريبة من الموت »

وبحركة لا شعورية برزت يداها في شبه الظلمة ، يدان تحاولان



الآنسة رينه عبودي

●

القبض على امل ، امل ما زال يومض امامها .. يومض بعد ان احرقها ، اتلفها ، جعلها حطاما .

كانت الممثلة الاولى تحدق مسلوبة باتجاه معين . نظرت الطالبة الشابة الى حيث كانت تنظر فلم تجد غير امراة تلف بذراعيها العمود الابيض الضخم وشعرها الذهبي وحده يتماوج في شبه ظلمة القاعة .

★

كان النهار في الخارج قاتما ، معتما ، والشوارع التي كانت تغص منذ قليل بالمشاهدين قد اقفرت شيئا فشيئا منهم ، واضحت موحشة . كانت الطالبة تسير بقامتها الفارعة وقميصها الابيض البارز تحت معطفها الصوفي ، وهي لا تزال نهب الحيرة ، مرتبكة ، تحاول استعادة ما شاهدته على المسرح ، وما شاهدته في الصالة ، اما اوراق اعلانات المسرحية فقد كانت تتطاير امامها هنا وهناك في الشارع ، كانت كثعابين تحاول لدغها ثم تبتعد عنها مسرعة ليضمها التلاشي .

وشيئا فشيئا اصبحت خطواتها اكثر حزما ، وانتصبت قامتها ، وحضنت بحب وعطف كتبها، وظنت انها قد عادت اخيرا الى صفائها الداخلي ، الى العالم الذي كانت تعتقد انها تعرفه حق المعرفة ، هذا العالم بنظامه ورتابته ، اخيرا عالم هذه المدينة المملة الهادئة .. العالم الذي كانت منه .. وفجاة تهاوى الى سمعها صوت ضحكة عرفتها بسرعة مذهلة ، التفتت لتجد قرب منزل تحيط به حديقة كل اعضاء الفرقة ، كانوا يقفون منتظرين احدا ما .. ومن بعيد رات الممثلة الاولى تقترب بثوب انيق جدا ، شعرها الاسود يزين وجهها الاسمر الشاحب وابتسامتها الغريبة تلك . خيل الى الطالبة ان الممثلة الاولى لمحتها وانها نظرت اليها طويلا قبل ان تنضم الى اعضاء الفرقة المجتمعين قرب الدار ..

تابعت سيرها وقد اجتاحها شعور غريب .. وشدت على انفاسها ياقة قميصها البيضاء .. ثم عاد كل شيء الى ما كان عليه . الشارع فارغ والسكينة ليست بسكينة .

وفكرت بحزن وارتياح ان الفرقة راحلة غدا .

حلب رينه عبودي

انطون زحلان - راضي عبد الهادي
محمود سليمان المغربي - محمد محمود نجم

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور أنطون زحلان

آمن الدكتور زحلان بحق الامة التي تحدر منها في الحياة ، وبخلودها على خارطة الدنيا ، ودأب ، وهو العربي الغيور على امته ، على المساهمة في بناء شعبه بناء علميا ، وتوجيهه توجيها تكنولوجيا حديثا ، ليسترد مكانة خسرها تحت الشمس ، وكرامة فقدها بين كرامات الامم الحية !

ولد الدكتور زحلان في مدينة « حيفا » بفلسطين عام ١٩٢٨ وانهى دراسته الابتدائية في كلية الفرير بحيفا ثم التحق بكلية تراسانطة في القدس عام ١٩٤١ وامضى فيها سنة دراسية ، وما لبث ان عاد الى كلية الفرير بحيفا ليستأنف دراسته الثانوية واحرز المترك الفلسطيني عـام ١٩٤٦ .

ونتيجة للهجرة العربية من فلسطين او قل نتيجة لعامل النكبة الاولى عام ١٩٤٨ نزح مع أهله الى بيروت والتحق بالجامعة الاميركية واحرز شهادة بكلوريوس في الكيمياء عام ١٩٥١ وشهادة استاذ علوم في الكيمياء عام ١٩٥٢ . وفي عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ علم في كلية العلوم بالجامعة الاميركية وفي عام ١٩٥٣ شد الرحال الى الولايات المتحدة ودخل جامعة سركيوز ونال الدكتوراه في الكيمياء الطبيعية عام ١٩٥٦ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها لجامعة سركيوز : « سرعة انحلال الاومونياك بتأثير أشعة الفا » .

وفي العام الذي حصل فيه على الدكتوراه عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت وعين استاذا في دائرة الفيزياء .

وفي عام ١٩٦٩ نال من الجامعة الاميركية في بيروت اجازة بلا راتب وشخص الى مدينة عمان (عاصمة الاردن) بطلب من المسؤولين الاردنيين ليؤسس « الجمعية العلمية الملكية » وهنا لا بد من كلمة تعريف بهذه الجمعية العلمية التي قام الدكتور زحلان بتأسيسها في العاصمة الاردنية :

« الجمعية العلمية الملكية » هيئة علمية مستقلة تقوم بالدراسات العلمية المرتبطة بالانماء واللازمة لحل المشاكل التي تواجه الاردن ، وكان تأسيسها نتيجة طبيعية للحاجة الملحة لاستخدام وتطوير نتائج العلم والتكنولوجيا الحديثة لتحقيق اهداف التنمية وتحسين مستوى المعيشة في الاردن . وسيكون عمل الجمعية هذه مكملا لهيئات علمية اخرى كالجامعة الاردنية ومجلس الاعمار ومجلس البحث العلمي . فبينما تهتم الجامعة بتزويد المجتمع بالخبرات العلمية الضرورية ، وتهدف لخلق مجموعات ابحاث اكاديمية تكون قاعدة اساسية للابحاث التطبيقية ، نجد أن « الجمعية العلمية الملكية » تهتم بالابحاث المرتبطة بالانماء الاقتصادي .. وفي حين يهتم مجلس الاعمار بالتخطيط والتنفيذ لمتابعة المشاريع الانمائية نجد ان الجمعية هذه تهتم بادخال التكنولوجيا الحديثة وتعمل على ايجاد حلول للمشاكل الانمائية بطرق حديثة ! وتهدف الجمعية الى تحقيق الاهداف العريضة الاتية :

١ ـ معرفة وتكييف الاكتشافات العلمية والتكنولوجية بما يتناسب مع احتياطات الاردن ومشاكله وادخال الاساليب الحديثة في شتى المواضيع .

٢ ـ اجراء البحث العلمي في المواضيع العامة لتنمية القدرة العربية الخلاقة وللمساعدة في تسخير التكنولوجيا الحديثة للتنمية الاقتصادية ولتوفير حياة افضل بالاردن .

٣ ـ جذب العلماء العرب بالخارج وخلق نواة عربية قادرة على تفجير ثورة علمية حقيقية بالاردن .

٤ ـ توليد افكار جريئة مبتكرة وعلمية تساهم في استغلال موارد البلاد بشكل علمي واقتصادي .

٥ ـ التعرف على المشاكل المرتبطة بالتنمية بالاردن ووضع المشاريع العلمية الملائمة لحلها والمشاركة في تحديد الاولويات وتقديم المساعدة في تحقيق هذه المشاريع .

ولتحقيق هذه الاهداف الواسعة فان الجمعية ستعمل ضمن برنامج عمل يقضي باختيار المواضيع حسب اهميتها بالنسبة لحاجة الاردن وامكانية تطبيقها واحتمال تنفيذها حال الانتهاء من الابحاث والدراسات اللازمة .. هذا البرنامج نفسه سيبقى مجال البحث والتطوير والتقييم ... بعض المشاكل سيتطلب وقتا قصيرا لعلاجها والكثير منها سيتطلب الوقت الطويل لحلها بطريقة فعالة . ولهذا فان ثمار جهود الجمعية لن تقطف قبل عدة اعوام وبالرغم من ذلك فان هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق الاهداف المطلوبة .

وستبني الجمعية عدة حلقات من المحاضرات في مواضيع معينة حتى تلتقي الافكار وحتى تتكافأ في عملية التعرف على المشاكل وايجاد الحلول لهذه التخصصات المختلفة الموجودة بالجمعية وخارجها وحتى تصبح هذه الحلول عملية مطابقة لظروف الاردن .

وستركز الجمعية نشاطها العلمي وابحاثها في مواضيع معينة في حقول التكنولوجيا والتعليم والاقتصاد والمجتمع وسيكون مجال عملها بصورة عامة كما يلي :

في حقول الهندسة والميكانيكات تقديم المشورة العلمية والمعلومات التكنولوجية في مجال علوم الفلزات والاختبارات العلمية على مستوى الصناعة وفي بعض الاحيان عمل نماذج تطبيقية . ان الهدف في هذا المجال هو تقديم الاساليب الحديثة بصورة عملية لاستصلاح وتصميم وصنع الاجزاء المركبة للاجهزة الميكانيكية .

وستركز الجمعية نشاطها العلمي وابحاثها في مواضيع معينة في حقول التكنولوجيا والتعليم والاقتصاد والمجتمع وسيكون مجال عملها بصورة عامة كما يلي :

في حقول الهندسة والميكانيكات تقديم المشورة العلمية والمعلومات الصناعة وفي بعض الاحيان عمل نماذج تطبيقية . ان الهدف في هذا المجال هو تقديم الاساليب الحديثة بصورة عملية لاستصلاح وتصميم وصنع الاجزاء المركبة للاجهزة الميكانيكية .

في حقول الالكترونيات ستعمل الجمعية لزيادة قدرة البلاد على استيعاب هذه الصناعة الجديدة وستساهم في مجالات التصميم والاختبار وصناعة النماذج التطبيقية ... كذلك ستقدم الجمعية المشورة التكنولوجية في هذا المجال المهم .

في حقول الطبيعة ستركز الجمعية على بعض فروع الطبيعة الحديثة مثل فرع الطبيعة البصرية كما ستساعد في استخدام بعض الاجهزة البصرية الحديثة في كافة المجالات .

في حقول الحاسبات الالكترونية ستعمل الجمعية على ادخال استعمال هذه الآلات في حقول الادارة وجمع البيانات والجرد والحسابات الهندسية المعقدة وجمع معلومات ضرورية للبحث والدراسة . وسيكون لدى الجمعية هيئة قادرة ومختصة في تحليل الاساليب ووضع البرامج للعقول الالكترونية وتدريب الاخرين على وضع واستعمال هذه البرامج .

في برامج التنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي ستقوم الجمعية بجمع المعلومات اللازمة لوضع المشاريع في مجالات المواصلات، الادارة ، استغلال المصادر الطبيعية ، التسويق المحلي او الخارجي .

في مجال التعليم ستقوم الجمعية بدعم الجهود الكبيرة التي تقوم بها وزارة التربية والتعليم في تحسين مواد العلوم بالمدارس الاردنية حتى تصل للمستوى اللائق .. وستقوم الجمعية بالدراسات اللازمة لانشاء صناعات الاجهزة العلمية والتعليمية لتوفيرها باثمان زهيدة نسبيا وفي هذا المجال ستضع الجمعية مشاريع لاقامة مدارس مهنية تزود البلاد بالفنيين المطلوبين لهذه الصناعات الضرورية .

في مجال الميكروبيولوجيا والكيمياء الصناعية ستساهم الجمعية في دراسة الاحتمالات للصناعات الكيمائية المختلفة مثل السماد كذلك الصناعات المبنية على الاحياء الدقيقة .

ومن المتوقع ان يتسع نطاق نشاط الجمعية على مر السنين حينما تتطور امكانياتها للاشتراك في معالجة مشاكل طارئة عديدة ومتنوعة حسب ما تتطلبه الظروف التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور زحلان عشرات المقالات في صميم العلم ، في أمهات المجلات العالمية التي تعنى بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة ، وصنف كتبا تدرس في الجامعة الاميركية ببيروت وفي جامعات اميركية اخرى .

ومن مؤلفاته المطبوعة التي وقفنا عليها :

- Polarographic Behaviour of the Dipyridyls, Chem (1955).

- Two Spin Systems, Phys. (1956).

- The Alpha Induced Decompositon of Ammonia, Chem Phys. (1957).

– آثار الهزيمة وجامعاتنا الوطنية ، دراسات عربية . طبع عام ١٩٦٨ .

- Science and Hiher Education in Israel (1970).

(نقله الى العربية الاستاذ محمد صالح العالم بعنوان «العلم والتعليم العالي في اسرائيل » وقد نشرته « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » في بيروت بالاشتراك مع « دار الهلال بمصر » ونشر عام ١٩٧٠) .

نموذج من نثره : « تتوقف قوة الدولة كما تتوقف قوة اقتصادها على ما تتمتع به هذه الدولة من طاقة بشرية رفيعة المستوى من حيث كم هذه الطاقة ونوعها ومدى تنظيمها ، وتقدر هذه الطاقة مبدئيا بعدد من يحملون الدرجات الجامعية كالبكالوريوس والماجستير والدكتوراه وغيرها ، ولكن التقدير الفعلي لنوعية هذه الطاقة ومدى تنظيمها هو أمر اكثر صعوبة من مجرد احصاء عدد من يحملون مثل هذه الدرجات ، ذلك انه ما لم يؤلف الجامعيون فريقا متكاملا مع المجتمع الذي ينتمون اليه فان عددهم في الحقيقة لا يعدو كونه عددا مجردا هذا ، ويتوفر لدى اسرائيل نحو خمسة وخمسين الفا من خريجي الجامعات يمثلون حوالي ٢٪ من مجموع سكانها » (١٩٦٥) .

ولقد تم في تشرين الاول عام ١٩٦٢ انشاء « السلطة الاسرائيلية لتخطيط الطاقة البشرية » لتعمل كجهاز مركزي للتخطيط والاشراف على الابحاث الخاصة بالطاقة البشرية ولكي تكون كسكرتيرية للمجلس القومي للطاقة البشرية الذي كان قد تم تاسيسه في عام ١٩٦١ ، ولقد أمكن بفضل هذا الجهد الحكومي الاسرائيلي القيام بابحاث مكثفة لدراسة توليد الطاقة البشرية وتطويرها .

ويروي ايلي جنزبرغ ان المسائل الثلاث ذات الاولوية التي اقترح عليه المشرف العام على سلطة الطاقة البشرية في وزارة العمل ان يقوم بدراستها هي :

أ – مسألة زيادة فعالية الطاقة البشرية في ميدان الاقتصاد الاسرائيلي .

ب – مسألة زيادة عدد المهاجرين الى اسرائيل من الاقطار الغربية وخصوصا من الولايات المتحدة الاميركية .

جـ – مسألة ربط اقتصاديات المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي .

وسوف نكتفي هنا بايراد البند الاول من تقرير (جنزبرغ) (١٩٦٧) الذي يعطي تحليلا صريحا لموضوع استغلال الطاقة البشرية ذات المستوى العالي في ميدان الاقتصاد الاسرائيلي من اقتصاد عمراني معتمد على الدعم الخارجي الى اقتصاد صناعي ذي اكتفاء ذاتي بالفشل الذريع وادت الى بطالة قدرت بحوالي ١٢٪ عام ١٩٦٦ . ويرى جنزبرغ انه من الصعب على اسرائيل ان تحافظ على مستوى عال من التوظيف والانتاج ما لم تبق على نشاط فعال في ميدان الانشاء والتعمير ، ذلك ان هنالك اختلافا كبيرا في الخصائص بين الطاقات البشرية العاملة في هذا الميدان وتلك التي يتطلبها الانتاج الصناعي . كذلك « فانه لن الصعوبة في حالة ضيق السوق المحلية ان يتم انجاز توسع كبير في الانتاج الصناعي في مدى قصير الا اذا كان بالامكان تصريف هذا الانتاج في اسواق جديدة في الخارج وهذا امر يصعب تحقيقه على اية دولة حتى وان كان اقتصادها اكثر تطورا من اقتصاد اسرائيل » .

ويحلل جنزبرغ ايضا ما يتركه الاشراف الذي تمارسه الحكومة والمنظمات التجارية على مختلف المشاريع من آثار في طاقة الانتاج وكفاءته ، ذلك ان الاعتبارات السياسية في بلد ليست له تقاليد ادارية هي التي تتحكم في عمليات اختيار المسؤولين الاداريين وهذا يؤدي الى تثبيت من تنقصهم الكفاءة في المناصب الادارية كما يؤدي الى عدم افساح المجال امام جيل اكثر قدرة من الاداريين ورجال الاعمال كما هي الحال في نظام الاقتصاد الحر . ويتفق « جنزبرغ » مع « اكزين » و « درر » بخصوص المؤهلات الطليعية التي تتوفر في القوات المسلحة حيث يقول :

« ان هذا التغلغل الحكومي في كل ناحية من النواحي جعل من المتعذر ان تدور عجلة السوق بطريقة تسكن من تمييز ذوي الكفاءة عن غيرهم فلقد كان من السهل نسبيا ، ولفترات طويلة ، اخفاء النقص في الكفاءة لدى الكثير من الهيئات الادارية .

وتبرز ناحية اكثر ايجابية عندما نمعن النظر في نوعية القيادة المتوفرة في القطاع العسكري حيث يصل عدد كبير من الرجال المقتدرين الى أعلى المناصب كما يشغل العديد منهم اليوم مراكز حساسة في الاقتصاد المدني . ان السجل الممتاز الذي يتمتع به القطاع العسكري انما يعكس امورا جديرة بالملاحظة ، منها الجدية التي ينظر بها القادة الى مهامهم ، والتحرر النسبي للقطاع العسكري من الشؤون السياسية ، وتوفر المعايير الموضوعية للتقويم واحترام هذه المعايير ، ووجود خطة عالية الكفاءة يقوم على تنفيذها رجال قد تم اختيارهم بعناية وتقع على عواتقهم مهمات جسام ومنها كذلك توفر المخصصات اللازمة لتمويل برامج التعليم والتدريب » .

٢ – راضي عبد الهادي

الشعار الذي آثره « راضي » على كل شعار ، وانبرى يردده قول

السياسي العربي المرحوم ليس الهاشمي :

« لا بد ان نبني الخلق القومي في الحكم العربي اولا وقبل كل شيء ! »

ولد « راضي » في مدينة « نابلس » بفلسطين سنة ١٩١٠ ودرج في بيت عريق محافظ . وفي الخامسة من عمره دخل المدرسة الدرويشية بنابلس وكان يديرها شيخ سلاحه عصا يرفعها في وجه كل طالب يثير غضبه !

وفي سنة ١٩١٨ صحب « راضي » شقيقا له الى دمشق ليواصل دراسته فيها وبعد عامين عاد الى مسقط رأسه ليكون على مقربة من والديه ، فالتحق بالمدرسة الصلاحية وكان يديرها وقتئذ المرحوم عفيف المطموط .

وفي خريف عام ١٩٢٢ التحق ب « دار المعلمين » في القدس بعد ان اجتاز الفحص المقرر ، وكانت الدار تنعم بهيئة تدريسية واعية على رأسها المربي المرحوم الدكتور خليل طوطح ومن اساتذتها المرحوم درويش المقدادي والمرحوم حبيب الخوري ومصطفى مراد الدباغ وجلال زريق وجورج خميس ، ثم آلت ادارتها سنة ١٩٢٥ للمرحوم احمد سامح الخالدي ، وفي عهده أطلق عليها اسم « الكلية العربية » .

وفي سنة ١٩٢٦ تخرج فيها « راضي » وعين استاذا الاجتماعيات في مدرسة الرملة الثانوية وكان مديرها الاستاذ ابراهيم صنوبر وامضى فيها ثلاث سنوات ، وقد حولها مع اخوانه المدرسين الى معقل لبث الروح الوطنية ، واقاموا الروابط الاجتماعية بين طلاب الرملة وطلاب المدن الفلسطينية الاخرى وخاصة طلاب مدرسة عكا الثانوية ، ثم عمدوا الى تشكيل نواد كانت في ظاهرها رياضية ، وفي باطنها عرائن لايقاظ الشعور الوطني وتذكير المواطنين بواجباتهم ، وآخر ما لجأوا اليه انشاء « جمعية الشبان المسامين » وقد لعبت دورا خطيرا في توعية الشعب وايقاظ مشاعره القومية ، وكان « راضي » يتردد على مدينة يافا ليسهم في مقال او خبر لجريدة « صوت الحق » التي كان يشرف على شؤونها المرحوم سعيد الخليل ، وكان البوليس في الرملة ويافا يحصي عليه انفاسه ... ويتابع خطاه ... ويقف على ما يقدم للمجتمع العربي الفلسطيني من توعية ونصح وارشاد . وحدا من نشاطه نقلته ادارة المعارف الفلسطينية في خريف ١٩٢٩ استاذا في المدرسة الهاشمية بنابلس وبعد عام نقلته استاذا الاجتماعيات في المدرسة الصلاحية الثانوية ، وفي سنة ١٩٣٤ نقل مديرا للمدرسة الغزالية بنابلس ، وفي صيف ١٩٣٥ نقل مديرا لمدرسة خان يونس ، وبعد ستة شهور نقل مديرا للمدرسة الهاشمية في البيرة ـ رام الله.

وخلال عمله في خان يونس اجتاز الفحص العالي لمعلمي المدارس الثانوية ، وهو الفحص الذي اعدته ادارة المعارف العامة وجعلته في مستوى الليسانس . وفي صيف ١٩٤٠ رقي مديرا للمدرسة العمرية في بيت المقدس ، وهي مدرسة نموذجية اعدتها ادارة المعارف العامة لتكون بمثابة حقل لتجارب طلاب « الكلية العربية » الذين كانوا يؤمونها مرتين في الاسبوع .

وفي صيف ١٩٤٤ نقل مديرا لثانوية الخليل ، وفي صيف ١٩٤٧ نقل ، برغبة منه ، مديرا لمدرسة عكا الثانوية ، ولم يطل الاقامة فيها اذ برحها تحت وطأة الاحداث السياسية التي سادت فلسطين سنة ١٩٤٨ الى دمشق وعمل استاذا للعربية وآدابها في ثانوية ابن خلدون والتجهيز الاولى مدة سنتين ثم عاد الى الاردن والقى عصا تسياره في عمان سنة ١٩٥٠ وشغل المراكز التالية :

ـ مديرا لكلية الحسين في عمان ، مدة اربع سنوات ، (من ١٩٥٠ الى ١٩٥٤) .

ـ مديرا للتربية والتعليم في الوية عجلون (من ١٩٥٤ الى ١٩٥٥) والخليل (١٩٥٦) والقدس ، (من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩) وعجلون ، في اعقاب سنة ١٩٥٩ .

ـ وكيلا اداريا مساعدا في وزارة التربية والتعليم ، في اعقاب سنة ١٩٦١ .

ـ متصرفا اداريا للواء الكرك ، في اعقاب سنة ١٩٦٣ .

ـ متصرفا اداريا للواء البلقاء في ٦ ـ ٦ ـ ١٩٦٤ .

ـ وكيلا اداريا مساعدا في وزارة التربية والتعليم ، في مطلع سنة ١٩٦٦ . وفي ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٦٧ احيل على التقاعد .

من آثاره القلمية : على الرغم من المأساة الفلسطينية الاولى التي طوحت بالفلسطينيين شرقا وغربا ... فقد استطاع « راضي » ان يكتب عشرات من المقالات للصحف والمجلات والاذاعة ، ويضع عددا من القصص القصيرة ، ويؤلف قرابة ثلاثين كتابا عرفنا منها :

١ ـ تاريخ الممالك العربية (بالاشتراك مع المرحوم احمد الخليفة) ١٩٤٢ .

٢ ـ الروضة (مجموعة شعرية في اربعة اجزاء) ١٩٤٥ .

٣ ـ خالد وفاتنة ـ بالاشتراك مع بعض المؤلفين ١٩٤٥ .

٤ ـ الشهيد (قصة) ١٩٥٠ .

٥ ـ البطل (قصة) ١٩٥٠ .

٦ ـ الروض (قصة) (في ثلاثة اجزاء) ١٩٥٠ .

٧ ـ العرب والاسلام (في جزئين) (مع بعض الزملاء) ١٩٥١ .

٨ ـ فارس غرناطة (قصة) ١٩٥٢ .

٩ ـ سمسمة الشجاعة (قصة) ١٩٥٣ .

١٠ ـ الجغرافية الواضحة ١٩٥٣ .

١١ ـ جغرافية بلاد العرب والشرق الاوسط ١٩٥٧ .

١٢ ـ الموجز في تاريخ العرب والمسلمين ١٩٥٧ .

١٣ ـ كوكو (قصة) ١٩٥٧ .

١٤ ـ الموجز في تاريخ العالم الحديث ١٩٦١ .

١٥ ـ الوطن العربي في افريقيا ١٩٦٢ .

١٦ ـ تاريخ العرب والمسلمين ١٩٦٦ .

١٧ ـ الحضارات القديمة ١٩٦٦ .

١٨ ـ اللغة العربية (في ثلاثة اجزاء) ١٩٦٧ .

١٩ ـ جغرافية العالم العربي ١٩٦٧ .

نموذج من نثره : عالج « راضي » القصة القصيرة ، كما عالج موضوعات قيمة في التاريخ والجغرافيا واللغة وكان له في كل قطاع باع طويل ، ودونك قصة قصيرة بقلمه عنوانها « قصة كلب » :

« جاءني به صديق ، في يوم من أيام الربيع ، وكان صغيرا الى حد لا يستطيع معه ان يلعق الحليب دون مساعدتي ، وكان لونه الاسود الفاقع ، وشعره الكثيف ، واذناه المرهفتان وذيله الذي لا يكف عن الحركة ، تدخل الرضى والارتياح الى نفسي ، وأنا انقل عيني بين اجزاء جسده الجميل .

ومرت الايام ، وكبر الكلب الحبيب معها ، وكبر اعجابي واعجاب جميع افراد الاسرة به ، واخذت ملامح القوة وعلائم الشدة والعنف تلوح عليه وتبدو كلما أطل على البيت طارىء او اقترب من بابه غريب .

وخص الكلب بصداقته احدى بناتي ، ولم اعجب يومئذ لذلك ، لعلمي بأنها كانت اكثرنا رفقا به ، وعطفا عليه ، كانت تخصه بكل لون شهي من الوان الطعام ، وكانت تعد له الحمام الساخن بين الحين والحين ، لتزيل عن جسده الغض ، ما علق به من اوساخ الشارع او وحول الطريق ، وكانت تهيء لنومه مكانا مناسبا ، ينعم فيه بالراحة والنظافة والدفء ، وكانت تعمد الى جراحه كلما تعرض لحجر من يد عابر سبيل ، او الى اذى من صغير مشاكس ، فتضمدها برفق وعطف ، وتضع عليها بعض الدواء على غرار ما يفعله الطبيب .

وانتهت العطلة ، وعادت الطالبات الى مدارسهن ، وعادت ابنتي الى مدرستها ، وأدرك الكلب انذاك ان امرا جديدا قد حدث ، ولكنه لم يرتبك ولم يبد القلق عليه ،فقد انتهى بفضل ذكائه الى حل صحيح ، كان يقف امام باب المنزل حتى تحين ساعة ذهابها الى المدرسة ، وكانت لا تبعد عنه اكثر من مئتي متر ، فيسير معها حتى

تنتهي الى الباب وتنفذ منه الى الداخل ، فيعود منفردا ، وعرف مع الايام ساعة عودتها الى البيت فكان ينتظرها بحرص ونظام دقيقين .

ومرضت ابنتي ذات يوم ولزمت فراشها ، وفتشنا عن الكلب لنطعمه ، وبعد بحث طويل وجدناه قابعا تحت سريرها ، وسحابة من الحزن والالم تعلو قسمات وجهه ، فما عجبنا لذلك، ووضعنا له طعامه وانصرفنا ، ولكنه لم يذق شيئا ، وظل في مكانه عدة ايام ، ولم يغادره الا بعد ان رأى صديقته وقد برحت فراشها ، وان امائر الصحة والعافية قد اخذت تعاودها .

وحان الموعد الذي ستزف فيه الابنة الى عريسها ، واطل فجر اليوم الذي ستبرح فيه المنزل الى عش جديد في بلد آخر ، واسهم كل من في البيت بالوداع ، هذا يبسم ، وهذه تمسح دموعها ، وتلك تحبس حرقة هي رجع الموقف المؤثر . كان كل ذلك يجري والكلب مطرق في زاوية من زوايا الغرفة لا يدري شيئا من حقيقة ما يحدث، ولكنه لم يكد يرى السيارة ، وقد انطلقت بالعروس في سرعة ، حتى افاق من ذهوله ... فراح يعدو وراءها ، وصوت حزين ينبعث منه ، كانه البكاء ، وتبين للكلب ، بعد ايام ، ان صديقته قد غادرته ، وادرك ان شيئا قد قلب حياته ، فانطوى على نفسه ، وامتنع عن الاكل ، وحاولنا عبثا ان نرد اليه مرحه ، وباءت جهودنا في هذا المضمار بالفشل الذريع .

وافقت ذات يوم من نومي ، وانطلقت بدافع عجيب الى الحديقة، واخذت انادي على الكلب بأعلى صوتي ، وكان الصدى وحده يردد ندائي كلمة ... كلمة ... ومنذ ذلك اليوم وانا افتش دون جدوى عن صديقي وصديق ابنتي ، ولست ادري ماذا اصابه ... ولماذا برح البيت وقد كان فيه العزيز المبجل . أتراه مضى يبحث عن الانسان الذي أحبه واحسن اليه ؟ أم ان يدا ظالمة قد امتدت الى شبابه فهصرته ؟ أم ان الجوى والحنين قد أوديا به ؟ لقد مضى على الحادثة اكثر من عام ، ولكنها لا تزال على جدتها ، اتلمس فيها كل يوم مجالا للتنفيس ، كلما اعوزني التنفيس ، واجد فيها سبيلا الى العزاء كلما ضقت ذرعا بظلم الناسوانحرافهم ، وتجنيهم ونكثهم وتلونهم واسفافهم. واني لاتساءل وانا اروي قصة كلب : لماذا لا يصل الانسان في خلقه الى مستوى الكلب ، الى المستوى الذي يرى فيه ان من واجبه او من حق الناس عليه ان يكون فذا في محبته ووفائه وترفعه وطهارة نفسه ونقاوة ضميره واعترافه بالجميل ؟! »

نماذج من شعره : بعد عام من المأساة الفلسطينية الاولى اقبل الربيع بتلاوينه ومباهجه ... فتذكر « راضي » بلاده التي اغتصبها العلج اليهودي فعبث بزهرها ودحنونها ... واحال ربيعها الدائم الى مآس ودموع ودماء ... فانشا يقول :

اقبلت تخطر في دلال . وتميس في حلل الجمال
ومضيت تنشر من عبيرك في البطاح وفي الجبال
واحلت موطننا بما وشيت دنيا من خيال
أنى اتجهت بناظري أبصرت أطياف اللآلي
من كل ضرب عبقري الحسن لم يخطر ببال
آمنت انك يا ربيع عصارة السحر الحلال

أججت بي لما حللت لظى الحنين الى بلادي
للجنة الخضراء تنعم بالسهول وبالوهاد
وأثرت نار الشوق تعصف بالجوانح والفؤاد
لم تبق في عيني ما أرجوه من طعم الرقاد
اسلمتني للذكريات والتوجع والسهاد
عشت الحياة مولها بك يا ربيع الحسن صبا
كم ذا عببت نسيمك الفواح عند الفجر عبا
وثملت من أرج تضوع او شذى كالمسك هبا
قد كنت لي فيما مضى املا يدغدغني وحبا
لكنني بعد الذي ادمى الحشا شجنا ورعبا
بعد التشرد والنزوح عن الحمى جسدا وقلبا
دب الاسى بين الضلوع وفي زوايا النفس دبا
وغدوت لست أرى على الايام شيئا مستحبا

انا يا ربيع معذب لم يبق شيء في يديا
ودعت احلام الشباب هناك والفجر النديا
لكن بي أملا يشد الحيل ، يجعلني قويا
انا لم ازل رغم النوائب والاسى ندبا أبيا
ما ذل بأسي مذ نزحت وما تبذل أصغريا
سأذود عن وطني بكل جوارحي وبمقلتيا
وبكل ما يرضي الشهامة والاباء العبقريا

اني لآمل ان اراك هناك في الوطن السليب
تختال في ثوب من الازهار فتان قشيب
والارض طهرها الكماة الصيد من رجس الغريب
والاهل قد عادوا جميعهم الى المرج الخصيب
والطير في فرح يغرد من على الغصن الرطيب
والراية الكبرى ترفرف في الشروق وفي الغروب
لاقول في مرح الشباب ونشوة الرائم اللعوب
يا مرحبا بك يا ربيع الخير يا أغلى حبيب
أقبلت تملا عالم الاحرار من حسن وطيب
فاحلل على دعة قرير العين حبات القلوب

والاديب النابه البعيد النظر ... كثيرا ما يعمد الى الحديث بلسان الحيوان والطير ... كما فعل « ابن المقفع » و « لافونتين » . وعلى غرار هذين الاديبين نظم « راضي » قصيدة بعنوان « الارنب الحالم » وهي تروي « قصة » تقرأ بين سطورها « العظة » و «الحكمة» لقوم يعقلون ... !

دخل الارنب في يوم شديد القيظ غابه
ومضى يعمل في الاوراق والاعشاب نابه
وانثنى يعبث بالزهر ويمتص رضابه
لم يذر عن ماكل او مشرب الا اصابه
ثم القى من لظى التخمة في النوم ركابه
فاحتواه في ذراعين وأولاه رحابه

ورأى ضيما يرى النائم أحلاما مثيره
ان طيفا جاءه يحمل انباء خطيره
قال : يا مولاي هذا الغاب اصبحت أميره
لك ما تبصر من أرض وأمواه نميره
ومروج جمة الخصب على الدهر نضيره
وسماء تخلب اللب واقمار منيره
ورعايا فذة الاخلاص بالحب جديره
فرض الوحش على الحق وكن صاح نصيره
ولقد قال ذوو الراي وأرباب البصيره
كل ملك شيد بالعدل وبالايدي القديره
وسما عن كل ما تانفه النفس الكبيره
ونبا عن كل ما يرخص في السوق ضميره
سوف يبقى رغم أنف الدهر أحقابا كثيره
جلس الارنب فوق العرش مرفوع اللواء
وسمات الزهو تعلوه ورجع الخيلاء
وتناسى عظة الطيف بحمق وغباء
وأجال الطرف فيمن حوله في كبرياء
قال في دل وتيه لا يحاكى وازدراء
شرف ان تصبحوا بعض عبيدي وامائي
فاحذروا ان تنكثوا عهدي وودي وولائي

وأفاق الارنب الحالم من نوم عميق
وهو ماخوذ بما احرز من مجد عريق
فاذا الغاب خليط من عواء ونعيق
واذا العرش بقايا غصن هش دقيق
واذا ذئب وعيناه خصم من بريق
قال لما ان رأى الارنب في هم وضيق
يا رشيقا بذ في خطرته كل رشيق
مرحبا بالجيد والعينين والخصر الرقيق
صهر الشوق فؤادي فادن مني يا صديقي
ثم ألقاه بتيه بين فكيه سحيق

مثل هذا الارنب الحالم في الدنيا كثير
غفل الدهر فخالوا انهم شيء خطير
غرهم مال اصابوه وكرسي وثير
ووجوه تظهر الحب رياء وثغور
ونسوا ان سهام الحظ تنبو وتفور
والليالي بالجوى والويل تغلي وتمور
والاسى يغتال من خدناه ظلم وفجور
والدجى يعقبه فجر ـ وان طال ـ منير
والذي يبقى على الايام عقل وضمير

وآوى شاعرنا كلبا أنيسا في منزله وراح يطعمه ويسقيه بيديه حتى كبر الكلب فاذا الصداقة تنشأ بينهما ، واذا بالكلب من أوفى مخلوقات الله وأدناها الى قلب الشاعر !

وذات يوم خرج الكلب الصغير من منزل سيده ولم يعد ... فجزع شاعرنا عليه جزعا عظيما وانطلق يبحث عنه في كل مكان ، حتى عثر عليه جثة هامدة ملقاة على قارعة الطريق ، وقد مرت به سيارة اجهزت عليه ... فخلف لصاحبه هما وشجنا ، ورثاه شاعرنا بقصيدة كانت رجعا لشعور الاسى والزفير !

ودونك هذه الرائعة الانسانية :

أبصرته ملقى ـ وقد لفظ الحياة ـ على الطريق
ويد الردى عبثت باضلعه وبالقلب الرقيق
وقست ، فأغمضت العيون ، واطفأت ومض البريق
وأتت على فيض من الاخلاص والنبل العريق
فعجبت للموت الزؤآم ، ينال من أوفى صديق
ممن يظل العمر قواما على العهد الوثيق
وبكيت من شجن عليه ، بكا الشقيق على الشقيق

ساظل أبكيه على الايام بالدمع الصبيب
في مطلع الفجر المنير وفي الاصيل وفي المغيب
والدمع يكرم اذ يسيل على عزيز أو حبيب
ساظل أبكيه فيه ما لاقيت من بر عجيب
كم مرة الفيته يقظان في الليل الرهيب
يعدو اذا ما لاح طيف من بعيد او قريب
في جرأة الاسد الهصور وعزمة الليث الغضوب
ليذود ما يستطيع عني من شرور أو خطوب
ان الصديق هو الذي تلقاه في اليوم العصيب

قد كدت أعجب كيف مد الموت للخلق المجيد
للنبل للاقدام للاخلاص للعزم الشديد
للتضحيات ، يدا تفيض أذى وتزخر بالجمود
والارض ، كم في الارض من نذل ونمام حقود
اني لابصرها تمور بكل ألوان العبيد
وبكل دجال ، ومغرور ومنتهز حسود
قد كان من حق الحمام عليهم قطع الوريد

لكنه كلف بكل مقارع ندب عنيد
وبكل مقدام شديد البأس ذي رأي سديد
الموت يأنف ان يمد يدا لامعة بليد
لكنه قدر ، وما للخلق عنه من محيد

قد كنت عندي أعذب الألحان في قيثار عمري
ومعين أحلامي وآمالي وافراحي وبشري
ساظل أذكر كيف عشت لكل مكرمة وطهر
ولقيت ما لاقيت في دنياي من خير وشر
وحملت أعباء الحياة معي بايمان وصبر
وسموت في السراء والضراء عن نكث وغدر
ما خنتني ابدا ، ولا آزرت أيامي ودهري
وظللت عنوان الوفا ، سيان في مد وجزر
حتى تجرعت الردى ومضيت كالليث الهزبر
فارقد على دعة ، قرير العين في أمن ويسر

٣ ـ الدكتور محمود سليمان المغربي

الشعار الذي آمن به « محمود » منذ ابصر الظلام يلف وطنه الاول فلسطين ، وشاهد الظلم يعصف بارض الفداء والبطولات ، قول الشاعر :

وكنت متى قوم غزوني غزوتهم   فهل انا في ذا يا لهمدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما   وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ولد « محمود » في مدينة حيفا بفلسطين سنة ١٩٣٤ ، وتلقى علومه الابتدائية في المدرسة الاميرية ، وبعد حلول الكارثة الفلسطينية الاولى سنة ١٩٤٨ بارح مسقط رأسه مع الوف اللاجئين الى سوريا وعاش مع والديه وذويه في مخيم قرب دمشق وتزود ب « بطاقة الاعاشة » من وكالة غوث اللاجئين .

واستكمالا لدراسته التحق هذا اللاجيء العصامي باحدى مدارس وكالة الغوث واحرز البكالوريا السورية ثم انضم الى كلية الحقوق بجامعة دمشق . ونظرا لضيق ذات يده ، كلاجيء فلسطيني ، كان يقتسم ثمن الكتب التي يدرسها في كلية الحقوق مع رفيقه الفلسطيني المشرد محمود عباس (من صفد أصلا) .

وبعد أن نال شهادة الحقوق بدرجة الامتياز سنة ١٩٥٧ قصد امارة قطر ب « هوية فلسطينية » وعين معلما في عهد الدكتور عبد الله عبد الدائم مدير معارف قطر عهد ذاك . وفي عهد خلفه المربي الاستاذ مصطفى مراد الدباغ نقل « محمود » مديرا لمدرسة « الريان » التي تضم ابناء الاسرة الحاكمة ، فاصبحت هذه المدرسة عنوانا لشخصيته الفذة واصبح « محمود » موضع تقدير ورعاية المسؤولين .

ولم تمض فترة قصيرة من الوقت حتى نقله الاستاذ الدباغ مدير المعارف العام مفتشا اداريا وماليا لمديرية المعارف وبقي في عمله هذا حتى صيف عام ١٩٦١ اذ استقال وقصد ليبيا وحصل على جواز سفر ليبي .

وفي سنة ١٩٦٢ غادر ليبيا الى الولايات المتحدة اتماما لدراسته وعاش على الكفاف في تلك البلاد . وفي سنة ١٩٦٦ احرز شهادة « الدكتوراه » في هندسة البترول من جامعة جورج واشنطون وعاد الى ليبيا ليخدمها في صدق واخلاص ، وانطلق بما اشتهر به من جدية واحترام للنظام ليعمل من اجل القضية العربية وتوعية الشعب العربي الليبي ، لكن المسؤولين في العهد الماضي تضايقوا من آرائه التحررية ... حالوا دون التحاقه بجهاز الدولة ، لكنه عمل مستشارا قانونيا في احدى شركات البترول في طرابلس الغرب .

وفي اوائل عام ١٩٦٧ حاول ترك الشركة التي يعمل فيها ليؤسس مكتبا لمزاولة المحاماة ، لكن حوادث الخامس من حزيران ١٩٦٧ الهبت مشاعره القومية وحملته على الاشتراك في الاضراب الذي دعا اليه عمال البترول الليبيون ضد الحكم السابق ، وسرعان ما اعتقلته سلطات

الامن بتهمة التحريض على قيام المظاهرات ، والمضي في الاضرابات ، واحالته على القضاء .

وخلال محاكمته دعا الدكتور المغربي علانية الى وقف ضخ البترول الليبي وشحنه للدول الغربية الضالعة مع اسرائيل والغاء اتفاقية قاعدة « ويلاس » الاميركية التي يراها معقلا كبيرا من معاقل التحركات العسكرية الاميركية المعادية لحركة التحرر العربي بشكل خاص والافريقي بشكل عام .

وبعد دفاع رائع القاه الدكتور المغربي امام القضاة ، حكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات ، وتجريده من الجنسية الليبية واخراجه من البلاد بوصفه عنصرا غير مرغوب فيه لاتهامه بعدم الولاء وسعيه لقلب نظام الحكم بعد وقوع المأساة العربية الثانية .

وامضى الدكتور المغربي حوالي سنتين في السجن ... وحصل الانقلاب الليبي في اليوم الاول من ايلول ١٩٦٩ ، فنقل « محمود » من سجنه الى قيادة الثورة ، واعلن مجلس القيادة تعيينه رئيسا للوزراء ووزيرا للمالية والزراعة والاصلاح الزراعي ، فكان ثاني رئيس وزراء من أصل فلسطيني يعين بعد كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . اما الاول فكان المغفور له الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس وزراء الاردن الاسبق .

ومن ابرز سمات الدكتور المغربي انه مؤمن بتوحيد الدول العربية في شمال افريقيا والشرق الاوسط في دولة واحدة ، وجدي في تصرفاته ، وبعيد عن الظهور وتسليط الاضواء عليه !

ومن هواياته المفضلة انه لاعب كرة ممتاز ، ومن طريف ما يذكر عن ديموقراطيته وتفاعله مع الشعب انه اشترك في خريف عام ١٩٦٩ مع مائة وخمسين طالبا من طلاب المدارس الثانوية والزراعية في طرابلس الغرب في قطاف الزيتون ، وخلال ساعتين من هذه الحملة تم جني أحد عشر قنطارا من ثمار الزيتون .

وفي مجالسه وندواته يجعل من فلسطين والوحدة العربية قطب الرحى في كل ما يقول ، ولا يصادق الا المتحمسين لتلك القضية ، فيستعرض واياهم انجع السبيل لاسترداد فلسطين وتحقيق الوحدة العربية ، ولم يكن في ذلك كله يعبر عن لون سياسي معين ... بل كان رمز الجندي العربي المخلص لاعلاء شان عروبته !

نموذج من نثره : « قد يختلف الاستعمار في شراسته من مرحلة الى اخرى ومن بلد الى آخر ومن مستعمر الى آخر ، ولكن الهدف الاساسي للاستعمار يظل واحدا هو استعباد الشعوب واستنزاف خيراتها . وما الصور المتعددة للاستعمار ، قديمه وحديثه ، الا محاولات تضليلية خبيثة يكيفها المستعمرون حسب الظروف لتحقيق الهدف الاساسي . اذ كلما انكشفت حيلة ابتدعوا اخرى ، وكلما ظهر زيف مفهوم أطلقوا غيره .

ان بشاعة الاستعمار ووحشيته تجلتا في وعد بلفور . شعب عريق آمن انتهكت حرياته ومقدساته وسلبت أراضيه وامتهنت حقوقه ونكثت كل العهود التي قطعت له ، وبيع كأية سلعة ...!

قامت بالدور الاول في هذه الجريمة من كانت تزعم انها محققة العدالة الاجتماعية ... واكملت الدور الثاني من تزعم انها حامية الحريات !

يخطىء الاستعمار عندما يظن ان الزمن كفيل باسدال ستار النسيان على مخازيه وجرائمه ووحشيته ... اكثر من نصف قرن مضى على وعد بلفور ، وما زالت الامة العربية تذكره وستظل ... وما زالت آثاره تفعل فعلتها في الامة العربية وفي تصورها للامور وفي نظريتها الى القوى الاستعمارية التي اصدرت وعد بلفور ونفذته بكل دهاء وشراسة .

لقد أكد وعد بلفور تعريف العرب باعدائهم ، وكشف لهم بوضوح اكثر شراسة الاستعمار وتناقضه الاساسي مع مصالح الشعوب واهدافها النبيلة .

ان ركائز الاستعمار اصبحت واهية في الارض العربية رغم ما بذل الاستعمار من جهود لتثبيت دعائمه ، لكن الاستعمار ودعائمه لا بد لها ان تتهاوى تحت الضربات المتلاحقة العنيدة التي تكيلها الشعوب ولا بد لكل هذه الركائز ان تدك !

ان المستعمرين لا يتصرفون حسب المصالح الحقيقية لجماهير شعوبهم بل حسب مصالح فئة قليلة همها جمع المزيد من ملايين الدولارات دون النظر الى كرامة الشعوب وحقها في تقرير مصيرها . ولو تصرف المستعمرون حسب مصالح شعوبهم الحقيقية لكفوا الانسانية ويلات كثيرة ولجنبوا العالم كله شرورا كبيرة ولكان العالم اليوم افضل مما هو عليه !

ليس وعد بلفور ذكرى للبكاء والنحيب ، بل لمزيد من التضحية والعمل والبذل ، مزيد من التعاون الوثيق الفعال لتحرير فلسطين العربية » .

٤ ـ محمد محمود نجم

الشعار الذي آمن به « محمد » وظل يبشر به قول « كريشنا مينون » وزير الدفاع الهندي الاسبق :

« ان القوة والوحدة العربية هما الحل الحقيقي لقضية فلسطين ! »

ولد « محمد » في « اسدود » احدى قرى الجنوب الفلسطيني الغافية على زند الابيض المتوسط والواقعة في منتصف الطريق بين غزة ـ يافا ، وترجع ولادته سنة ١٩١٦ . وفتح عينيه للنور على بيئة علمية محافظة ، فوالده وكذلك جده من خريجي الازهر الشريف ، وخاله من اهل الفقه والدين .

ومع الايام ادرك « محمد » ان والده حجة في الفقه والشريعة وقدر مدى اسهامه في الخدمة الاجتماعية واعظا ومصلحا بين مواطنيه، بحيث اغناهم عن اللجوء للسلطات والمحاكم طيلة اربعين عاما ، لكن اليهود غدروا به وباهل اسدود بعد ان اخذوا عليهم عهدا بالبقاء في « اسدود » ليعيشوا في ديارهم بطمأنينة واستقرار ، لكن احفاد « شيلوخ » دفعوهم سيرا على الاقدام الى غزة في ٥ ـ ١١ ـ ١٩٤٨ بعد انسحاب الجيش المصري من قطاع غزة وحصدوهم برشاش بنادقهم .

في هذا الجو المحافظ عاش « محمد » وتلقى دروسه في مدرسة قريته ، وكان والده قد « نذره » للازهر الشريف ، ولذلك كان يعقد دروسا في النحو والفقه والتفسير ويحمل نجله على حضورها تمهيدا لدخول الازهر ، بينما كان ولده يصبو الى تحصيل العلم في بيت المقدس .

وبعد ان اتم « محمد » دروسه في قريته اكمل على والده كتابا في النحو وآخر في الفقه الشافعي واجزاء في تفسير الخازن . ودنت ساعة السفر الى مصر للالتحاق بالازهر ، وهنا تدخلت الظروف فائتت الوالد عن الوفاء ب « نذره » وحملته على ارسال ولده للمعهد الاحمدي في عكا ، وهو معهد ديني فيه شيء من الثقافة العصرية ، ولكن والده بعد ان زاره في المعهد ووقف على اتجاهاته ادرك ان هذا المعهد لا يحقق ما تمناه لولده من مستقبل باسم زاهر !

وفي عام ١٩٣٣ قصد « محمد » مصر ودخل الازهر الشريف ، وتفتحت امامه آفاق جديدة ، وكانت الشهادة الاهلية التي أحرزها سلما لدخوله « دار العلوم » وكانت عهد ذاك محجة الابصار . وفي عام ١٩٣٨ تخرج من « دار العلوم » وقد حرصت صحيفة « الاهرام » على نشر رسمه بوصفه اول المتخرجين الشرقيين لذلك العام .

وظل « محمد » في مصر مواظبا على ادارة « الشورى » و « الشباب » لصاحبهما الاستاذ المجاهد محمد علي الطاهر ، واسهم في المناسبات القومية التي تكون صدى للاحداث العربية . وشارك في الخطابة والمظاهرات وجمع التبرعات والترحيب بزعماء العروبة حين كانوا يزورون مصر .

وخلال اقامته على ضفاف النيل اجتمع الى الكثيرين من رجالات العرب أمثال الشهبندر والحبيب بورقيبة والشيخ الابراهيمي ورياض الصلح ، والزيات والرافعي من أهل القلم . وهكذا رضي « محمد » ان يكون جنديا عاملا في خدمة العروبة ، فوطد العزم على ان يزرع الاعتزاز بالعروبة في قلب كل طالب وقرر ان يسلك سبيل التعليم ، وعاد الى فلسطين واتفق مع معارف الكويت ليعلم في مدارسها ، وبعد ان ألقى عصا تسياره في لؤلؤة الخليج بذر بذورا صالحة اعطت اكلها الشهي ، وبذل ما في وسعه من جهد لتوجيه النشء العربي توجيها قوميا ، ولقن طلابه في المرحلة الثانوية دروسا في القومية العربية ومحاربة المستعمر والاحتفال بالمناسبات القومية والاعياد الوطنية .

وبعد ان ادى « محمد » بعض رسالته الى القطر الكويتي الشقيق قصد العراق لينشر بذور الوعي في ثانوية كركوك . وعقب فشل ثورة المرحوم رشيد عالي الكيلاني عاد الى فلسطين مدرسا في يافا ثم في الكلية الابراهيمية بالقدس ثم في اللد ثم في العامرية الثانوية في يافا .

واجتاحت النكبة الاولى عرب فلسطين عام ١٩٤٨ فصمم « محمد » على البقاء في الوطن المغصوب لكن ترويع السكان وقحط السلاح ومجزرة دير ياسين حملت « محمدا » ومواطنيه العزل من السلاح على اللجوء للاقطار المجاورة ، فكانت مصر وجهته ، وقبل ان يبلغها أودع والمشردون الذين معه معسكرا في القنطرة واقاموا فيه ستة شهور ! وكان انقاذه بواسطة بعض طلابه ممن يدرسون في جامعة القاهرة ، فجاء مصر ومنها الى الكويت ليواصل رسالته التي بدأها ، وليتعهد البذور التي غرسها وليصنع شبانا واعين يتوسدون اليوم ارفع المناصب . وتقديرا من المسؤولين في وزارة التربية والتعليم الكويتية نقل مفتشا أول للغة العربية ، فتضاعفت مسؤولياته حتى رأى الكرمة التي غرستها يمينه يانعة القطوف .

نموذج من نثره : « سأظل يا وطني تائها حتى اعود اليك ولو رفاتا ، فتانس عظامي بثراك ، وسأظل حزينا ملتاعا حتى أراك سالما منعما وغانما مكرما . لقد عرفت يا وطني ان جنة الخلد في رحابك ، وان املاك السعادة والنعيم تسبح عند اعتابك ، وان افواف الرخاء ورفيف المنى تحلق فوق قبابك . فكيف يا وطني وفيك مسرى الهوى ، ومراح المنى ، ومهوى الحياة ! لقد حبست الهوى عن ليلى وسلمى ، وصرمت حبل دعد وسعدى ، وبت يا وطني بك مشغولا ، وفي هواك مفتونا !

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فانني مكب كأني في الجلوس غريب

سمعت يا وطني صوتا حبيبا الى نفسي ، في لحظة ضاقت علي الارض بما رحبت « يا ميجنا ... يا ميجنا ! » صوت طالما تردد في فضائك ، وهتفت به حناجر ابنائك ، وطالما اخرجني عن وقاري ، وارقصني على أديمك الغالي ، فذكرتك يا وطني ، وملات الكاس في كفي بدمعي !

وارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

وذكرت الراعي السعيد في سفح جبل من جبالك المرعة ، يعلو صخرة لؤلؤية وقد فرش الله كل عبقري من الطنافس ، ابدعت الارض في تزيينها بالنور والخزامى ، وحوله القطيع الآمن الناعم يثغو من شبع ، فيرد على نايه الناطق « يا ميجنا ... يا ميجنا ! » .

وذكرت الفلاح الابي يشق الارض في بكور الصباح ، على جبينه قطرات من العرق اوقفتها الصبا اللعوب عن الانحدار ، فلمعت في اشعة الشمس كانها اللالىء تزين تاجه الشريف ، وحوله سنابل الذهب ترقص طربا ، وتميس عجبا ، بمقدم الغزالة من خدرها ، والطير تغرد في الافق مرحة ، وفاطمة تتهادى في تيه ودلال ، تحمل اليه مريئا من الطعام وهنيئا من الشراب ، فيراها ... فينتشي ويرفع عقيرته صائحا باعلى صوته « يا ميجنا ... يا ميجنا ! » .

وذكرت البياري كميش الازار قد ملأ برديه ، وفتل شاربيه ، وتفيا ظلال الشجرة الخالدة يشذب اغصانها في حنان ، ومن حوله امواه تصل بالحصى صليل الحلى ، تغمر الاحواض ، وتروي خصيب الرياض ، والجو المضمخ بزهر البرتقال يدفعه الى النشوة والمرح ، فيتغزل بالثمر الذهبي الضحوك ، ثم يمد يدا عاشقة الى ثمرة مغرية دانية فيمتص رحيقها العذب ثم يتبختر مزهوا ويغني « يا ميجنا ... يا ميجنا ! » .

[illegible] وضاءة وحسنا ، ويتفتق جسمه صحة وعافية يرفل في الديباج ويشتمل بالدمقس ، يحيط به رجاله كالجند حول قائد مظفر ، يوزع الحصص بينهم ذهبا نضارا بملء اليد ، وهم يتحدثون حديثا ساذجا كسذاجة البحر ، مضطربا كاضطراب الموج ، جافيا كجفاء الانواء في يوم عاصف ، ورئيسهم يقرقر على نارجيلة كانها كوكب دري ينفث دخانها في غلظة تنبىء عن اعتداد وثراء وماض عريق ، وامامهم البحر يشرق بالسفن ويزخر بالزوارق و « المواعين » ، ونوتي نشوان ينشر شراعا كجناح ابيض الريش يرجع في طرب رزين « يا ميجنا ... يا ميجنا ! » .

وذكرت يافا مدينة الزهور ومغنى الغيد الناعمات ، وقد ضربت عليها بياراتها نطاقا كاكليل الغار على هامة البطل الفاتح ، واسوار الياسمين الشذي الفوح حول المقاصير والفيلات في « وادي الندى » و « تلة العرقتنجي » دونها الحسان من بنات الشاطىء الفضي ، وقد أرسل القمر طلائعه الفضية تتسلق الشرفات ، وتتلصص حول النوافذ، ترهف السمع الى أنغام البيان ، تعزفها الانامل الساحرة !

ذكرت ذلك يا وطني وذكرت اخوات ليافا تعج بالخيرات ، وتفيض بالبركات ، فشرقت بالدمع وتحركت شفتاي ترددان في نغم مجروح « يا ميجنا ... يا ميجنا » واذا الصحب من حولي ينشجون نشيجا متقطعا رثاء للشريد الحزين ، واذا بلساني يهتدي الى اللحن الذي يصرخ في دمي فأردد « يا من جنى ... يا من جنى ! » .

يا من جنى على الشعب الابي فاستغل حماسه وساقه الى الهيجاء بلا سلاح !

يا من جنى على الجواهر من شباب فلسطين فساقهم يذبحون ذبح الخراف بايدي الخراف !

يا من جنى على الشعب المنعم فاضطره الى تخريب بيوته بايديه ليضيع كاليتيم على مادبة اللئيم !

يا من جنى على النفوس الشوامخ فأذلها وأهانها حتى باتت ترى التحية صدقة ، والكسرة الجافة منة وفضلا !

يا من جنى على البرهرهات البيض فبتن على الطوى ، وعشن في المخيمات والكهوف كما تعيش الحشرات !

يا من جنى على الاكف الندية فامتدت تتكفف الفتات من موائد المغرضين أرباب الشباك المنصوبة في الامواه الآسنة !

يا من جنى على الشباب المستنير فقتل أفكاره بالسيف النابي الذي لم يرد عدوا ولم يحفظ كرامة ولا وطنا !

يا من جنى على الكرام المخلصين فعلمهم كيف يأكلون الخبز بالجبن ثلاثين عاما ، حتى أصبح ذلك فيهم خلقا وطبعا !

يا من جنى على زغب الحواصل فطيرها من اعشاشها الدفيئة ليفتك بها البرد والحر ارضاء للشهوات الجامعة والانانية البشعة والاطماع الجشعة !

يا من جنى على هؤلاء جميعا فجعلهم يرون الفجيعة التاريخية في فلسطين نتيجة طبيعية للسياسة الخرقاء والافكار الجاهزة للساسة

يا من جنى على المؤمنين فزعزع ايمانهم بمقدسات العرب والعروبة فاصبحوا يهذون كمن تخبطه الشيطان من المس !

ولبثت هكذا أغني « يا من جنى ... يا من جنى ! » حتى مات اللحن الحزين على فمي ، كما ماتت الدنيا والحياة في عيني يوم اخرجوني منك يا وطني ! » .

عمان ـ الاردن البدوي الملثم

حلم

رجعت اليك بعد غياب شهرين
لأدفن فيك شيخين
هما عمري واحزاني
هما اثنـان
مع الايام قد جاءا
وحطا في شراييني
وفي تموز قد ولدا
فصارا اليوم الفين

رجعت اليك من قاع المحيطات
وبعد ، وبعد يا امي
فـان الحـوت
رماني فوق عينيك
فهل من رمشك المغموس في دمي
ستنبت نبتة حتى افيء بظل يقطين
رجعت ، رجعت من سفري
وقد مزقت ثوب الليل تمزيقا
لاني حينما غنيت بالشعر
تحول وقع اقدامي على الصبار موسيقى
فلم يستانس الخفاش باللحن
وقال ... وقال اشياء

توعدني .. تهددنني
وقال اعود في جيش الابابيل
وقلت ساترك المنفى
فلـن احيـا
سوى في بيت آبائي واجدادي
ولن اخشى سوى ربي
فخل النار تأكل كل حسادي

رجعت اليك يا اغلى المواويل
لاني كنت منسيا
وصرت الآن
احب الارض والانسان
واكره ما يزركش من اقاويل
دعوني .. آه
اخاف فليتني أسطيع ان احكي
فجئت اليك كي ابكي
رجعت اليك من غابات أنصار الخرافية
وكنت نسجت من عرقي .. فمعذرة
اضعت هناك اثوابي الحريرية

رجعت اليك يا صوتي
ويا قلبي ويا شفتي
تركت البيد والوديان
تركت وساوس الشيطان
تركت معاول الطغيان
لتزرع في حقول الدم انشودة
وتدفن في قبور الاثم زغرودة
تركت مسارح التمثيل والزيف
وعدت اليك يا ريفي
حبيبي انت فاحضني وخليني
اعيش على ابتساماتك
احبك كلما مرت على شباكي المفتوح
سنونو رأسها مجروح

احبك كلما رفت رموشي فوق عينيا
واذكر قيس في البيداء
يصرخ .. ايه يا ليلى
احبك .. يا ..
ساقسم انني دوما
اراك .. اراك في نومي
واخجل ان اقول الآن
باني كنت في حلم .

عمان ـ الاردن

محمد ضمره

عندما يضحك التاريخ

بقلم اسمى طوبي

***

قبل الف عام ونيف غزا الفرنجة بلادنا .. جاؤوا جحافل استعمارية اسمت نفسها صليبية وما قال المسيح مرة للناس : اقتلوا الناس .. ولكنه الاستعمار .. ولكنه الطمع بهذه المنطقة التي كانت منذ ان كانت مطمع انظار الغزاة .

كانت بلادنا ومـا زالت الطريق الموصل اوروبـا بآسيا .. وهكذا كان على جحافل الفاتحين القادمين من الغرب ان يمروا بنا .. بالطريق الـذي يوصل الشرق بالغرب .. وهكذا ما ان دخل الجنرال اللنبي القدس يوم احتلتها بريطانيا عام ١٩١٩ حتى قال جملته المشهورة « الان انتهت الحروب الصليبية » .. كما قال القائـد الذي وقف على قبر صلاح الدين في دمشق جملته المليئة بالحقد والتشفي قال « لقد عدنا يا صلاح الديـن » اذا فهي حملات استعمارية منذ ان كانت . ولكننا كنا دائما نشم من بعيد رائحة الغزاة .. كانت لنا انوف شديدة الحساسية وهكذا رحنـا نحارب الفرس والاغريـق والرومان وكل من حاول غزونا حتى رحلوا .

ولن اتحدث هنا عن الغـزاة اولئك .. ولا عن هؤلاء .. لن اتحدث عن وعينا المبكر .. عن قوافل الفداء التي قدمناها .. لن اتحدث عن عدد الشهداء والشهيدات .. عن الفدائيات .. عن المحاربات بالسلاح الابيض قبل النزوح .. عن قوافل الشهداء التي ابتدات من عـام ١٩٢١ وظلت تتقدم حتى نكبـة عـام ١٩٤٨ فاذا بمن احصي من شهدائنا ــ من احصي فقط ــ يوازي بالنسبة لعددنا عدد المليون شهيد بالنسبة لاخواننا في الجزائر .. لن اتحدث عن الاحتفاظ بالارض رغم ذهب الصهيونية العالمية وقوانين الدولة المنتدبة التي كان في اسها ــ كل شيء لبناء الوطن القومي ــ لن اتحدث عن ٣٠ عاما لم يستطع خلالها كـل الذهب والقوانين ان يسلبونـا الا ٧ و ١/٢ بالمئة من مجموع اراضي فلسطين .. ٧ و١/٢ بالمئة لم نبع نحن الا اقلها . لن اتحدث عن كل هذا لانه يحتاج الى حديث خاص ولكنني ساتحدث عـن غزوات الفرنجة قديما واقابلها بما نحن فيه اليوم لان في هـذه المقابلة امل يزرع .. وعظة تستخرج .. وصرخة من صرخات التاريخ مدوية عندما يعيد التاريخ نفسه ويقول ــ الحق يعلو ــ .

بالامس في جلسة هادئـة تحدثنا .. قال لـي الصديق فيما قال .. عدونا قوي وتسنده دولة قوية . وسرحت افكر بالامس البعيد .. كانت اوروبـا كلهـا ضدنا يومئذ عدا اليونان .. ولقد جاء كل ملوكها وامرائها وجيوشها تحاربنا نحن الذين ما اعتدينا على احد . جاءنا فردريك الثاني وجيوشه وقد غـزا دمشق .. بلدوين الرابع وجيوشه وقد احتلوا طبرية .. ريكاردوس قلب الاسد .. ريمون الثالث .. الملك فرنسيس .. الامير رينو .. ملوك وامراء على راس جيوشهم .. ثم ماذا ..؟

قال صاحبي .. لقد مضى على وجود اعدائنا هؤلاء كدولة ٢٣ عاما اي من عام ١٩٤٧ واصبح لهم جذور في الارض .. بنوا المستعمرات والمعامـل وو ... قلت .. اوتدري كم بقي اولئك في بلادنا ..؟ لقد ظلوا اكثر مـن ١٠٠ عام .. ولقد حاربناهم وصمدنا اكثر من ١٠٠ عـام حتى ذهبوا .. ولاجل هذا تسمع بـن غوريون يقـول اليوم .. نحن لا نريد حرب المئة عام . مئة عـام ونيف بنوا خلالها اول ما بنوا القلاع والحصون التي مـا تزال قائمة على شواطئنا ليضمنوا وصول المدد من البحر .. مئة عام ونيف والحروب دائرة والغزاة يستميتون ونحن نقاتل .. وكلما فني مليون منهم قذف البحر مليونا اخر حتى بلغ مجموع ما قذفـه ٥ ــ ٦ ملايين فتصور .. وقابل بين ستة ملايين و ٣ على اكثر تقدير . ولقد احتل اعداؤنا اليوم فلسطين واقساما اخرى من البلاد العربية .. اما اولئك فقـد احتلـوا اضعاف اضعاف هذه المساحات .. احتلوا فلسطين كلها والاردن مثـل السلط والكرك واربد وغيرهـا .. واحتلوا لبنـان .. بيـروت وصور وصيدا وغيرها .. واحتلـوا سوريـة دمشق وحمص وحماه حتى حلب .. ثم الموصل .. واحتلـوا دمياط وسينا وغزة وغيرها اي انهم احتلوا مـا يسمى اليوم منطقـة الشرق الاوسط . وكانت قلاعهم على شواطئنا وما زالت شاهدة على قوتهم وتصميمهم .. لقد جاؤوا ليبقوا اذا لا بد من قلاع تضمن العتاد الحربـي والمدد البشري .. لقد تضايقوا مرة فاستنجدوا بالمانيا فجاء ملك الالمان بنفسه على راس جيش مسلح قوامـه ٢٦٥ الف مقاتل .

قال صاحبي .. والاساطيل البحرية ..؟ قلت .. كان لديهم من الاساطيل الكثير .. كان يوجد في ميـاه الاسكندرية احيانا ٦٠٠ قطعة حربية و ٣٠ الف مقاتل.. ويوم كانوا يحاصرون عكاء المدينة المنيعـة الاسوار كانت ١٧٠ قطعة حربية حولها . كانـوا يحاربوننا بآخر مـا انتجته اوروبا الحربية .. وكنا نحارب بالقليل البسيط الذي لدينا ولكن بايماننا الذي لا يتزعزع بحقنا .. كانت المدينة الواحدة تؤخذ وتسترد مرتين او ثلاثا .. عكـاء وصور مثلا الميناءان الحربيان انتقلتا من يد الى يد مرارا وظل صلاح الدين يحارب حولهما عامين كاملين وبعـد جهاد مرير احتلهما ومنع وصول المدد الى اعدائه .

وكان هناك الفداء .. وتبارك الفداء دائما .. ويخيل الي اننا كنا من اوائل الامم التي عرفته .. من فجر تاريخنا .. عرفناه نساء ورجالا وصغارا باروع صوره وبكل ما في الفداء من عظمة التواضع وروعة العطاء . ويمر امامي ذلك الفدائي المجهول في حرب الانصار .. كان الرجل يزحف وقد قطعت رجلاه في المعركة .. يزحف وهو يردد « مع الشهداء في الجنة .. مع الاولياء ونعم اولئك رفيقا » .

ووقف النبي العربي الكريم امامه معجبا وسأله .. من الرجل ..؟ ولم يرفع الرجل انظاره الى الرسول .. لم يفاخر .. لم يقل انا من انصارك يا رسول الله .. انا فلان وانظر كيف قطعت رجلاي وانا احارب في سبيل نصرتك .. لم يتفاخر بكلمة واحدة .. قال الرسول الكريم .. من الرجل ..؟ واجاب الفدائي بمنتهى التواضع .. رجل من الانصار .. رجل من الانصار .. الا فلتنحن الرؤوس المتشامخة امام عظمة الفداء .

ويومئذ امام غزوات الفرنجة كنا فدائيين .. واعتقد بصدق ان كل الجيوش العربية كانت فدائية مغامرة .. ولكن كان هناك ايضا الفداء المتواري . ويذكر لنا التاريخ اسماء سامر باثنين منها فقط .. الاول شاب اسمه علم الدين شمايل ترك موطنه سورية وسافر الى مصر الشقيقة ليعمل .. كان من بعض قرى حماه وكان سباحا ماهرا وما اقل السباحين يومئذ .. كنا في ذلك العهد وكأننا نردد مع شاعرنا ابن الرومي قوله :

لا اركب البحر اخشى ... علي منه المتاعب
طين انا وهو ماء ... والطين في الماء ذائب

وكان في علم الدين هذا من الاخوة العربية ما دفعه الى ترك قريته في سورية والذهاب الى مصر ليعمل .. كان يخاطر بروحه ويسبح بين مراكب الاعداء حتى يصل الى دمياط فيدخلها في جنح الظلام ويعود حاملا اخبار اهلها الى القيادة العربية . وكان هناك الفدائي عيسى العوام .. كان يغوص تحت مراكب الفرنجة المحاصرة عكاء .. يغوص حتى يصل الى جانب بعيد فيدخل .. وذات يوم شد على وسطه ٣ اكياس فيها الف درهم ليوصلها الى المحاصرين داخل المدينة ولكنه غرق .. وانقطعت اخباره ٣ ايام ثم حملته الامواج الى الجانب الآخر فاوصل ـ وهو ميت ـ الذهب الى رفاقه الفدائيين داخل عكاء .

قال صاحبي .. وكيف ذهب الفرنجة بعد ذلك ..؟ قلت يا صاحبي يوم جاؤوا بلادنا كنا متفرقين .. كان في حلب مثلا امير مستقل .. وفي الموصل امير مستقل .. وفي دمشق توفي ملكها نور الدين فاقاموا مجلس وصاية على ابنه الصغير وراحوا يلعبون به وللفرنجة طرقهم .. وهكذا اصبح كل امير يود ان يثب على اخيه او يحذر اخاه لئلا يثب عليه فيستنجد ـ ويا للاسف ـ بالغزاة لينصروه على اخيه . ومثل صغير .. تنازع الاميران الفاطميان بمصر شاور وضرغام فاستعان ضرغام بالفرنجة واستعان شاور بنور الدين ملك الشام . ثم انقلب شاور وعقد اتفاقا سريا بينه وبين الفرنجة على ان يتركوا حامية في مصر لتحميه من ضرغام وتقدر الحامية ب ٢٥٠ رجلا فقط ثم ماذا ..؟ ومرت عشرات الاعوام على هذه المهازل حتى جاء صلاح الدين .. ولقد قلت مرة هذه الجملة « عندما يدلهم الظلام يخرج من تلافيفه رجل يحمل مشعلا فهل اقفرت بلادي من رجل ..؟ .. رجل واحد » .؟

جاء صلاح الدين وراح يعمل ويعمل .. راح اول ما فعل يوحد الزعامات ويوحد الرؤوس المفكرة .. ويوحد الحكام المتفرقين ويوحد الشعوب .. ومن الانصاف ان نذكر ان الشعوب كانت موحدة متمسكة باخوتها .. ولقد حاول الفرنجة كعادتهم زرع بذور الشقاق .. حاولوا ان يخلقوا الطائفية ففشلوا دائما .. ومثل على ذلك اقباط مصر فقد ظلوا مع اخوانهم يدا واحدة ويوم جاء صلاح الدين كان الاقباط يعلقون صورته في كنائسهم مع صور القديسين امعانا في تحدي الفرنجة وتقديرا لبطل عربي يحارب الفرنجة . وظل صلاح الدين كما قلت يوحد العرب عامين متواصلين فلما اصبح عمره ٣٨ سنة كانت مصر والسودان والعراق وحوران وسورية ولبنان كلها على قلب واحد تؤازره سرا وعلانية . ويوم توحد العرب امحى العار ولقد قلت قبل اعوام من قصيدة بعنوان مارد هذا البيت :

امنت بالوطن الكبير ... ليمسح العار الكبير

وابتدأ صلاح الدين يهاجم تسنده كل القوى العربية .. وفي العام الاول طرد الفرنجة من حمص وحماه والموصل وماردين وصيدا والكرك والشوبك والبلقاء وغزة وعسقلان .. كلها انتصارات عام واحد . وفي العام الثاني طردهم من اللاذقية والرملة والفولة وصفورية وبيسان . وبعد عام آخر كان وراءهم في بيروت ونابلس والناصرة وطبرية ثم حطين .. واخيرا القدس .

ومع الاتحاد كان الصمود .. لقد ظل اهل البلاد على صمودهم دائما يناوشون هنا وهناك وفي كل مكان .. اتفق العرب على العدو فشعر الغزاة انهم محصورون وفي مواقف لا يحسدون عليها فلا راحة ولا اطمئنان ولا نوم على مخدة امان .. وابتدأوا يملون الحروب والمناوشات عاما بعد عام .. وابتدات جحافلهم تقلل من قدومها الينا .. اما الذين كانوا في بلادنا فقد ابتدؤوا يرحلون طالبين العيش بامان في بلادهم التي جاؤوا منها وهكذا ذهبوا .

قال صاحبي .. ذهبوا كلهم .؟ قلت بل ظل في البلاد كثيرون رأوا انهم اقلية فاستعربوا .. وهكذا ذابوا

اغنية للقدس

سلام الله ، يا قدس
فداك القلب والنفس

مهاد الدين والتقوى
سلام الحب والنجوى
وهل ، يا قدس ، لا نقوى
على مستعبد غادر ،
بزند قادر ظافر ؟
رعاك الله ، يا قدس
فداك القلب والنفس !

ويا قدس المصلينا ،
رعيت الحق والدينا ..
فكيف كنيسة المهد ..
وعفو ضراوة الوجد ،
اذا أغفت على حقد ..
يطوّف في مآقينا !
وكيف المسجد الطاهر ..
بعهد كافر ماكر ؟!
رعاك الله يا قدس
فداك القلب والنفس !

أمجد فيك ينتهب
ولا يجتاحنا لهب ؟!

فيلهو طرفنا الناعس
بليل واهن دامس
ونسلو مجدنا الدارس ..
احق العرب يغتصب
ويلفى شعبنا سادر
بليل ، ما له آخر ؟!
رعاك الله يا قدس ،
فداك القلب والنفس !

اذا ما هزك الحق
ولوع صدرك الرق
فلا تأسي لما ولى
ولا يرهبك من حلا
بارضك ، يوثق الفلا ..
ففينا للعلى توق ..
ومنا الثائر الرجل
ومنا الظافر البطل !
واما مسك الرجس ،
فداك القلب والنفس !
رعاك الله ، يا قدس ..
سلام الله ، يا قدس !!

فوزي عطوي

بين الاكثرية الساحقة واسمع ما حدث معي . لقد ذهبت مرة الى بيت لحم يوم كانت لنا بيت لحم .. ومضيت اتسكع في شوارع مدينة من اقدم مدن العالم فتطالعني سحنات غريبة .. فهذه سيدة فارعة الطول ناصعة بياض المحيا عسلية العينين تكاد لا تفرقها عن سيدة المانية .. وتلك كأنها بريطانية وهكذا .. وتعرفت على اسرة تدعى اسرة شقمان .. وسألت فقيل لي بل اصل الاسم جقمان .. وظللت ابحث حتى فهمت من شيوخ المدينة نقلا عن آبائهم واجدادهم ان اصل الاسم هو جاكوب مان وقد تحور مع الزمن فاصبح شقمان . وعلمت بعد ذلك ان عشرات الاسماء تحمل اسماء محرفة كهذا الاسم .. وان هذه الملامح الاجنبية على الوجوه هي الارث الذي ابقته لنا الحملات الصليبية .

لقد كان الرجال منهم .. الامراء والجنود وغيرهم يحضرون عائلاتهم معهم من اوروبا لانهم في زعمهم قادمون ليبقوا وخاصة بعد ان مرت الاعوام الطوال وهم هنا وقد اقاموا القلاع وبنوا وعمروا وضمنوا المدد من البحر سلاحا وبشرا . وكان هؤلاء الامراء والقواد يتمركزون في القدس وقد احتلوها ومضوا يحاربون من على اسوارها الجيوش العربية التي ما استراحت .. والتي ظلت تستميت لتستعيدها . وكانوا يرون في سكن القدس خطرا على اسرهم فكانوا يسكنونها في المدن المجاورة للقدس مثل بيت لحم وبيت جالا وغيرهما فلما مضوا ظلت عشرات الاسر التي تحورت اسماؤها مع الزمن فاصبح جاكوب مان هو شقمان وسبحان الدائم .

وكان صاحبي يصغي .. قلت الست ترى معي ان التاريخ يعيد نفسه .. انني اراه وهو يضحك اليوم يقول لنا .. لا تخافوا فالغد لكم ..

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي

عزيزي ...

عرفتك قبل ان القاك .. ورأيت صورتك قبل ان اشاهدك .. وعرفت مبادئك قبل ان يخاطب لساني لسانك .. نعم عرفت عنك كل شيء ..

لقد عرفتك من خلال سطور قصصك التي قراتها لك قبل ان احظى برؤياك .. عشت مع ابطالها وبطلاتها .. وكنت .. ولا زلت وستظل كاتبي المفضل .. وشاء لي القدر ان اجد عند صديقتي « سهير » كتبك المهداة لها .. وقد الححت عليها أن تقدمني اليك .. فلقد كنت مشتاقة الى معرفتك ..

وفي لقاء قصير في ذلك المندى الذي اعتدت الجلوس فيه منذ فترة .. تم التعارف بيني وبينك .. وقدمت لك نفسي انني ادرس الطب .. وعندما رايتك .. وجلست اليك .. قارنت صورتك التي صورها لك خيالي على واقعك عند اول لقاء لي .. فلم اجد تغيرا كثيرا ..

وقضينا لحظات .. نناقش اعمالك .. وابطال قصصك .. واختيارك لتلك القصص التي تمتاز بتلك النزعة الانسانية ، ونظرتك للحياة بنظرات التفاؤل والاستبشار .. وكم كنت انسانا تقدر وتشعر .. رقيقا .. مهذبا .. فنانا .. عذب الحديث.. وانقضى الوقت او كاد .. بسرعة .. وتواعدنا على لقاء آخر ..

وقضيت هزيعا من الليل لم يغمض لي جفن .. كنت احاكم ضميري .. بتهمة انني قد خدعتك .. واوهمتك بانني طالبة طب .. وفي الواقع لم اكن كذلك ..

صدقني يا عزيزي .. لقد عشت اسبوعا ارقة دائما .. تزاحمني مشاعر كثيرة.. كانت تطوق جيدي .. وكنت احدث نفسي واسائلها : (لماذا يهمني امرك ؟.. فلم تربطني بك اية علاقة .. سوى انني مولعة بقراءة اعمالك .. وكم من مثلي يشاطرني الولع بك ..)

واعود مرة ثانية واقول : (لقد كنت صريحا معي الى ابعد حد .. مما جعلني اشعر بذنبي) ..

وسرعان .. صارحتك في الموعد التالي بكل شيء .. عن حياتي .. وكيف اعيش .. عن دراستي .. ولم اخف عنك شيئا .. وصدقني يا عزيزي .. فحتى الآن لا اعرف لماذا صارحتك بكل شيء .. النهاية ما علينا ..

وفي نفس تلك الليلة .. تعرفت لاول مرة على « فريد » وقد قمت بتقديمه الي بكلمات كبيرة ..



بقلم رستم كيلاني

تحيي فيه الصدق .. والاخلاص.. والاخوة المتبادلة .. وقد علمت من صديقتي « سهير » قبل التعرف عليك .. كل شيء عن قصة حبها الدفين مع « فريد » وعن صلتها الوثيقة به ..

كانت تحدثني كثيرا عنه .. وعن مشاعرها الفياضة نحوه .. وحبها الكبير له .. واملها الوحيد في الزواج منه .. حيث وعدها هو بذلك مرارا .. وقد خططا لبعضهما على الورق .. على حد قولها .. بيت المستقبل ..

وقضينا جميعا تلك الليلة وقتا



طيبا .. وفي الطريق .. وبينما كنا سائرين .. تواعدنا على امسية نقضيها سويا في « الحسين » حيث كنا في شهر رمضان .. وافترقنا على امل هذا اللقاء ..

وفي اليوم الموعود .. كنت في انتظاري انت و « فريد » في المندى المعتاد .. ولكن « سهير » لم تحضر بعد .. ولشغفك بها .. حاولت الاتصال ب « سهير » تسألها عن سبب عدم حضورها .. وبينما انت تحدثها في الهاتف .. دس بين كتبي التي كنت احملها في يدي « فريد » وريقة كتب فيها « ضرورة مقابلتي لامر هام يخصنا جميعا »..

ولما انتهيت من مكالمتك .. ابلغتنا عن سبب اعتذار « سهير » ، وذلك لمرضها المفاجيء .. وقتئذ استطرد « فريد » قائلا .. وكأنه ينتظر تلك اللحظة :

ــ طالما الامر كذلك .. اعتذر انا ..

وصمت انت .. ثم نظرت الي.. كانت نظراتك فيها تساؤل .. ثم قلت :

ــ طوع امرك.. وانت يا «إحلام» ما رايك ؟

اقسم لك انني كنت احب ان ابقى معك .. لولا شغفي وحب استطلاعي لمعرفة السبب الذي من اجله يؤكد « فريد » ضرورة مقابلتي .. واعتذرت عن بقائي معك .. ثم انصرفنا ..

وارغمتني على توصيلي الى المكان الذي انشده .. آه .. لقد اوصلتني لاقرب مكان .. من مكان لقائي مع « فريد » ..

وقابلت « فريد » ويا ليتني لم اقابله .. لقد حدثني حديثا غريبا .. جعلني لاول وهلة احتقره .. بل واحتقر ذاتي لانني رضيت بمقابلته والجلوس معه ..

لقد حدثني عنك كثيرا .. عن اخلاقك .. عن ادبك .. عن اعمالك .. وافهمني في نهاية حديثه ..

انك تتعالى دائما في علاقتك مع الآخرين .. ولن تنظر الي انا تلك الانسانة الفقيرة .. الا لتتخذ مني مجرد بطلة لاحدى قصصك ..

وحاولت أن اثبت له ان كل ما يتصل بي وبك ما هو الا احترام متبادل واخوة وصداقة بريئة ..

وترك الحديث عنك .. للحديث عن صديقتي « سهير » وتحدث عنها حديثا غريبا .. كنت انصت اليه متعجبة من امره الغريب .. لقد تحدث عنها حديثا مشينا .. وقد نفى كل ما كانت تردده لكل صديقة عزيزة لديها عن تبادل حبه لها .. وعن الآمال والاحلام الوردية التي كانت تقيمها حول موضوعهما.

وقتئذ احسست بحقارتي اكثر مما سبق .. شعرت بأنني اتضاءل رويدا .. رويدا .. وبعد ان انهى حديثه بهذه الصورة الوقحة .. بدأ يبث لي حبه الكبير .. وانني انا الانسانة الوحيدة التي اخذت لبه من اول لقاء .. وانا الانسانة التي اعيش في خياله .. وانا .. وانا .. وانا ..

صدقني يا عزيزي ... بينما كان يحدثني هذا الحديث الذي يتصف بالمراهقة .. كنت اتخيلك بوسامتك وانت تقوم بمعرفتي به لاول مرة .. بكلماتك الكبيرة ذات الوصف الذي يفتقد منه .. وبتلك الكلمات التي كلها .. صدق .. واخلاص .. واخوة متبادلة .

وفي النهاية .. لم يجد مني اي تجاوب معه على الاطلاق ..

ولما عدت الى البيت في تلك الليلة .. ظللت ارقة تحوطني مشاعر غريبة .. كنت احس بذنبي الكبير .. كيف اواجهك .. وكيف اواجهه .. وكيف اواجه صديقتي « سهير » التي تحبه وتعتبره كل شيء في حياتها .. والذي يرتسم في خيالها عشها الجميل معه ..

ومرت ايام.. وفوجئت بحضوره المعهد الذي ادرس فيه بعد ظهر كل يوم .. ولم يكتف بذلك .. بل حاول ان يرسل الي رسائل يبث فيها وحدته .. وآلامه .. وحبه الكبير لي .. كانت كلماته فارغة كطبل اجوف .. لا تحمل اي معنى وتفتقد صدق الحرارة وتنبيء بشكل واضح عن شاب مراهق يحاول ان يجمع من كتب رسائل الغرام بعض العبارات ليضعها على الورق الملون .. يبث فيها كلمات العشق .. والمحبة الزائفة .. ولما راى مني ذلك الجفاء .. بعد ان



رستم كيلاني

●

ارسل رسالة تلو الاخرى .. وتكررت رسائله .. ولم تجد أي صدى في نفسي .. ابتعد عني ..

وجمعت كل رسائله في مظروف ارسلته اليه .. وبداخله رسالة طويلة العن فيها تلك الظروف التي رايته فيها .. كما العن نفسي لانني رضيت مقابلته ..

ولم اخف عن صديقتي « سهير » ما حدث من ذلك الانسان الذي توسمت فيه صفات الزوج المناسب لها .. وشرحت لها كل شيء .. وبينت لها انه ليس جديرا بأن يكون زوجا لها .. وانها خدعت فيه ..

واقتنعت بحديثي .. ووددت ان اصارحك انت ايضا .. ولكن ترددت كثيرا .. فضلت ان ابتعد عن رؤياك خجلا من مواجهتك حتى تلك الساعة التي اخط فيها رسالتي هذه ..

ورغم انني اعلم كم ستكون رسالتي هذه قاسية على نفسك ، ولكن كان لزاما علي ان اخبرك بكل ما حدث من صديق كنت تعتز به وتقدمه لكل انسان بأنه رجل الصدق .. والاخلاص .. والاخوة المتبادلة ..

وعني انا .. انا تلك الانسانة اليائسة من الحياة التي تنتظر موتها في كل لحظة تمر بها .. انك تعرف انني ما زلت اكابد الشقاء من تلك الآلام التي تحتل قلبي المريض ..

لقد عادت الي من جديد تلك الرؤيا المظلمة للدنيا التي كنت انظر اليها من خلال نظراتي السوداء قبل ان القاك .. قبل ان تعوضني من خلال مقابلتك الاولى التي ارتاح قلبي المريض اليها ..

لقد شعرت بحب الحياة وانا معك .. وازحت خلفي مرضي .. وسأمي الذي عانيت منه الكثير .. لقد كانت صداقتك لي عوضا عما كنت اشعر به من تلك الرؤيا المظلمة التي كانت تحوطني من كل جانب .. ولكن سرعان ما تبدد ذلك الحلم القصير ..

لقد كانت معرفتي ب « فريد » نكبة على حياتي ..

انني الآن لست آسفة على شيء سوى اصراري على قطع علاقتي بك مرغمة .. واشكر فضلك الذي لن انساه .. فلقد علمت من صديقتي « سهير » عندما سالتها عن سبب غيابي الطويل .. وافصحت لك السبب انني متعبة وقد الزمني الطبيب المعالج الفراش .. وامرني

ابا هدى ...

★

أبا هدى ان أمـرا كنت أجلهـه — قد بات بعد غموض طال متضحا
أفني شبابي أنـي كنت مرتجيـا — أن أشهد الدهر بالانصاف متشحا
قد قيل لي انه دهر اخـو صلف — وقد نصحت فما ألفيت منتصحا
حتى صحوت ولكن بعدما وهنت — مني العظام، ودهري ما أراه صحا
لـم ألفني بسوى ما مـر مغتبقا — ولا تغير الذي قد مـر مصطبحا
ومـا نجوت مـن الاقدار عابثة — ما كنت مدنيـا او كنت منتزحـا
لا خلتني بعـد يومي آبهـا أبـدا — بما جنى الدهر في حقي وما اجترحا

بغـداد — جلال الحنفي

الا اغادره فترة ليست بالقصيـرة حتى لا اجهد قلبي بأي عمل ما .. بانك كنت مستعدا لتقديمي لاشهر الاطباء لمعالجتي من ذلك الداء الذي يحتل قلبي ..

ولكن يا عزيـزي انـني لست استحق كل هذا .. كمـا انـني اخطأت ولا بد من تكفيري عن هذا الخطأ الذي يبدو امام الناس تافها .. ولكنـه بالنسبة لـي امام انسانيتك شيء لا يغتفر ..

والآن يا عزيزي .. اكفر عن هذا الخطأ .. بتلك الغلال التي تحوطني من سكون .. وملل .. ملل مرضي .. ومن الالم الذي يزيد ولا ينقص .. وحيدة لا انيس لي سوى كتبك التي اهديتني اياها منذ لقائي الثاني معك ..

فكلما ضاقت نفسي او شعـرت بالوحشة .. والفراغ الهائـل .. وبالوحدة القاتلة التي تمزق روحي .. اهرع اليهـا أتلمس مـن خلال سطورك .. الانسانية .. فلقـد اصبحت كتبك هـي العزاء الباقي لـي ..

عزيزي .. لقد اطلت عليك .. ولكن لا تخف .. لـن اثقل عليك كثيرا ، فانني لن استطيع ان اكتب اليك اكثر ممـا كتبت .. لانني اشعر بألم يجتاحني .. وفي ختام رسالتي هذه التي ارسلها اليـك بعد تلك الغيبـة الطويلة .. أطلب منك الدعاء لي بالشفاء ..

لا .. لا .. بل اطلب منك الدعاء لي بالرحمة من ذلك الداء الـذي يحتل قلبي بالراحة الابدية ، فلقـد اصبح املي فـي الحياة ضعيفـا جدا ..

★

عزيزي ... لا غرابة فـي ان ابعث اليك بهـذه الرسالة التي تتضمن رسالة .. لقـد حضرت زائرة لصديقتي « احلام » حاملة كتابك الجديـد « ... » الـذي اوصيتني ان اقدمه اليها .. فحينما دخلت عليهـا غرفتهـا وجلست بجانبها على فراشها وجدتها تخط لك رسالة .. وبينما كنت اقرا مـا تكتبه في نهاية رسالتها .. سقط القلم فجأة من بين اناملها .. وزمت على شفتيها كأنمـا ارهقت نفسها بالكتابة والانفعـال .. وعاودتها الحالة .. الم عنيف يجتاح كـل كيانها ..

وحاولت ان تقاوم .. واشتد بها الالم .. وتحسست مكان علتها .. وحاولت عبثـا ان تكتم تأوهاتهـا بصفحات الرسالة التي تكورت بـين اناملها دون ان تشعر ..

ولما همت بأن تمزقها بأسنانها .. نزعتها من بين يدها .. وبعثت بهـا اليك كمـا هـي ... اتراني احسنت ؟؟ أم تراني اخطأت ؟؟ المخلصة : « سهير » .

القاهرة — رستم كيلاني

دمعة على وليد

حسين رشيد خريس

القاهـــرة

كنت فكـره ...
حلقت بي في اقاصي الكون والدنيا الفسيحة
كنت زهرة ...
انعشتني بشذاها ... ورؤاها ،
ثـم ماتت ...
ايها الغافل هل جاءتك انبائي وخبري ...
اسأل النجم المدلا ...
والدروبـــا ،
أنا اجريت على دربك نجمي فاضاءا
وهتكت الظلمة العمياء فانسابت رواءا
خطرات من رؤى عينيك
ظلـــت ...
من وراء البعد تهديني التحايا
فاعيها .. واراها ماثلات ،
يـا ربيعـا ...
لم يدع في عمري المجرود ظلا أتفياه
فـولـى ... ،
تاركا حقلي يلوب
ودموعـــا ...
من صميم القلب تهمي وتصوب .

كنت فكرة ...
حلقت بي ... فمضيت ،
جانحي النور ، وسرجي شال
والدنيا مراحي ...
أيها الغافل ...
هل جاءتك انبائي وخبرى ...
في طريق ألعاشقينا ،
أنا قد سويت دربك .
وديار الهانئينا ،
أنا قد هيأت دارك
أي فجر ...
لم انشره على ظلمة ليلك
بسمات ... وحبورا
أي لحـن ...
لم اوقعه على أوتار قلبك
نبضات ... وغرورا
يا رسول الحب ...
ان مر بواديك الهزار
باحثا عبر الفيافي الموحشات
عن مقيل ... او خليل
قـل لـه ...
هلا أرحت اليوم ساعه
هـا هنـا ،
فالسرحة الغناء قد امست خلاء

صوحت اشجارها الخضر وجافاها الرعاة
لم يعد من رنة الناي الحزين
غير اصداء تهاوت بين اغوار القفار
ثـم راحت تتشكى
والدجى المخمور يحدو بالسعالى
تنفث السم فانى زفرت ،
زمجرت غضبى ، وراحت تتلوى
في الدروب السود ، ألريح الوبيل

يا وليدا عاش في قلبي ألوفا مـــن سنيني الخالدات
آه لو تدري ...
بأي من لهيف الشوق ضمتك ضلوعي
وباي من ضروب الوجد بكتك دموعي
كنت ارجوك على الايام عوني وعمادي
أي وهم ...!
حينما لحت لعيني الرجاء
وانا ... ما زلت من اعماق يأسي
اتملاك الرجاء ...
يتمت بعدك احلامي
ونـاءت ذكرياتي
فامضي مبكيا ...

كما راح اخوانك من قبل
فبكتهم دموعي ...
هكذا الدنيا حظوظ
ان حظي ...
من حياتي ...
أن أوارى كل يوم لي وليدا ...
يا نجوما رعشت اضواؤها البيضاء
من خلف السحاب
ما الذي انباك ما بي ...
انا لم اجمع رعيل الشعراء
انا لم اعزف على حزن غنائي
فلقد مات وليدي ... ودفنته
ولقد راح شهيدي ... وكتمته
فلماذا انت حيرى ...
ولـماذا ...
ترعش الاضواء في الانجم الزهر
وتهمـى ...
من عيون الحور حبات الدموع
ابكاء ... اعزاء ...
انا قد ودعت الامي ...
وهمي ... ومضيت !
أتخطى كل جبن
اتحدى كل غبن
فاذا مات وليدي
ومضى في موكب المجد شهيدي
لـي قلب ...
لم يزل يهوى ويصبو
وشباب ...
تتحاشى ساحة الاسد الغضاب
تتهاوى دونه الزرق الحراب
فليمت من شاء في الدنيا
وليدا ... او شهيدا ،
انا أولى بحياتي وشبابي
من كهوف الليل والغيران
شمعة ايها الفجر الوليد
في صحارى البؤس والحرمان
غرد ايها القلب العميد
وتقـدم ...
ثابت الخطو شديدا
لا تـرع ...
فالجراحات التي أدمتك يوما
خلها ذكرى تمر
وتـرنـم ...
لم يزل في الحقل زهر
لم يزل في الحقل زهر

الادب .. والكلاب

بقلم قاسم الخطاط

* * *

نشر الصديق الوديع الوفي ، الاستاذ وديع فلسطين ، على صفحات « الاديب » الغراء ، حديثا عن « الادب والاحذية » اثار الكثير من المناقشات والتعليقات بين ادباء العرب الذين تلتقي اقلامهم في منتدى « الاديب » ، هذا المنتدى الذي تضفي عليه روح الرائد الكبير البير اديب من شفافيتها واخلاصها في خدمة الادب ، ما يجعل اللقاء فيه يزداد حلاوة ، وتشيع فيه جوا من الالفة والمودة والصفاء ، اصبح نادر الوجود في ايامنا هذه .

وقد انطلق الاستاذ وديع في حديثه عن « الادب والاحذية » من بيت قاله شاعر العرب المبدع نزار قباني في احدى قصائده الاخيرة :

انا حريتي ، فان سلبوها يستوي الفكر عندها والحذاء

وإذا كان الاستاذ وديع فلسطين ، قد استطاع ان يجمع بعض الاحذية التي وجدها ملقاة على ابواب تاريخ الادب العربي ، او على الطرقات المؤدية اليها ، ويضعها منسقة في ركن بارز من احد ابهائه ، فمن واجب المنصفين ان يضعوا الكلاب مكانها الذي تستحقه في تاريخ الادب .. وما اكثر الكلاب التي استطاعت ان تدخل تاريخ الادب العربي من ابوابه احيانا ، ومن نوافذه احيانا اخرى ، بل ومن أوسع ابوابه في بعض الاحيان ! وما اكثر الكلاب الضالة في دروبه وازقته ، تقتات على الفتات ، عظمة من هنا ، وكسرة من هناك .

وقد ذكرت العرب الكلاب في اقوالها المأثورة وفي امثالها وفي اشعارها ، وتباين مكان الكلاب في ذلك ، فقد جاء ذكرها في معرض التحقير احيانا ، حتى نزلوا بها الى اسفل الدركات ، وجعلوا قدرها اقل من القدر الذي وضعه المتنبي لكافور حين قال :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد

وجاء ذكر الكلاب في معرض التقدير والاشادة في احيان اخرى ، حتى ارتفعوا بها الى اعلى الدرجات .. فقد جاء في اقوال العرب المأثورة قولهم « كلب حي خير من أسد ميت » .. وقالوا في امثالهم الشعرية :

لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح الطين مثقالا بدينار

وضرب العرب مثلا فيمن يكثرون الثرثرة والضجيج الفارغ محاولين بضعفهم وتفاهتهم ان يوقفوا او يحولوا مسيرة الجموع ، فقالوا ، « الكلاب تعوي .. والقافلة تسير » .

وفي التنكر للفقراء والتزلف للاغنياء، قال الشاعر:

واذا الكلاب رات فقيرا ماشيا نبحت عليه وكشرت انيابها
واذا رات يوما غنيا عابرا خضعت اليه وحركت اذنابها

وروي عن الحارقة بنت النعمان ، انها بعد ان قتل ابوها ، راحت تطوف بالقبائل العربية تحثهم على الثأر لابيها من قاتليه . ولكن احدا لم يجرها ، حتى انتهى بها المطاف الى بيت صغير من الشعر تقيم فيه اعرابية عجوز . فدخلته وقد هدها التعب والجوع واليأس . وجاءت الاعرابية باناء من اللبن وضعته امامها وذهبت لتحضر لها بعض الطعام ، فلما عادت ، وجدت الكلب يلعق في الاناء ، والفتاة ترقبه صامتة لا تحرك ساكنا . فزجرته العجوز وطردته ، ولكن الحارقة بنت النعمان قالت لها :

ــ دعيه يشرب .. فان الكلاب اوفى من العرب !

فتفرست الاعرابية العجوز في هذه الفتاة التي تشتم قومها واهلها وقالت :

ــ لعلك الحارقة بنت النعمان .

فقالت الفتاة :

ــ انا هي ..

وهنا قالت الاعرابية العجوز :

ــ أجرتك ورب الكعبة ..

واستطاعت تلك الاعرابية العجوز ان تلزم قبيلتها باجارة الحارقة بنت النعمان ، وان تثير القبائل العربية الاخرى التي تجمعت وسارت لتأخذ للحارقة بثار ابيها النعمان ، وكانت موقعة ذي قار .. وهكذا كان ذلك الكلب سببا في قيام حرب ضروس انتصر فيها العرب على الفرس !

وقال شاعر عربي آخر :

الكلب كلب وان قلدته ذهبا والليث ليث وان قلدته حطبا

وقال الزجال العراقي المرحوم الملا عبود الكرخي في احدى قصائده العامية وهو يهجو احد العراقيين :

مني اخذ شتم وسب يا كلب يا ابن الكلب !

واستطاعت الكلاب ، في بعض الاحيان ، أن تدخل التاريخ من اوسع ابوابه ، يدا بيد مع (التيوس) ! كان ذلك على يد الشاعر العربي الشهير « علي بن الجهم » الذي استطاع ان يرتفع بالكلاب .. وبالتيوس .. الى اعلى مقام .. حين وقف امام الخليفة العباسي هرون الرشيد يمدحه قائلا :

انت كالكلب في حفاظك للعهد وكالتيس في قراع الخطوب

وحين اراد احد المنافقين من الحاشية أن يأمر بطرد الشاعر وضربه وانزال العقاب به لتجاسره على مقام الخليفة ، اذ يصفه بالكلب .. وبالتيس .. منعه الرشيد من ذلك ، وقال لمن حوله ما معناه :

ــ ان هذا الشاعر القادم لتوه من البادية ، يتحدث ببساطة اهل البادية وصراحتهم ، وهو في بيئته الضيقة لا يجد صورة للوفاء اسمى من صورة الكلب .. ولا

في عيد ميلاده

كانوا سيضيئون له خمس شمعات في مساء ذلك اليوم الجميل ، فيطفئها جذلات على حنان ابويه وصخب لداته الابرياء ، غير انه سقط على رأسه وهـو يلاحق في الحديقة فراشة نشـوى بالعبير .. فلـم تشتعل الشموع !

★

رب ، هذا الطفل لـم جمدته   بعدما كـان ارتقاصا وجمـالا
لـم أطفـأت بعينيـه السنـا   بعد ما شعشعتا صفوا حـلالا
هـو لا يعلم مـا خبـاه ..   منحنى الدرب لـه حين استمالا
فمضى منتشيـا مـن عطره   نشوة العصفور قفزا واختيـالا
غير ان الموت لم يرحمه .. لـم   يرحم البرعـم غصنـا يتلالا
فطواه .. فاختفى تحت الثرى   وتهاوت أمـه بـين الثكالـى
وانثنت عينـا ابيـه شهقـة   قذفت مـن جامـد الدمع سؤالا
ايه يا رباه .. لـم جمدته ؟..   لم ؟!.. سبحانك لطفا ، وجلالا

الكويت   فؤاد الرفاعي

صورة للعناد والاصرار على مقارعة الخطوب ، أروع مـن صورة التيس .. فدعوه يعش في عاصمة الخلافة ويتأثر بهذه الحضارة ، وسترون كيف سيكون من المع الشعراء واروعهم ابداعا ..

وقد صدق الرشيد ، فلم يمض وقت طويل حتـى قال ذلك الشاعر ما اعتبره بـه أهـل الادب والشعر في ذلك الزمان ، اشعر الشعراء ، حين قال :

عيون المهـا بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
اعدن لي الشوق القديم ولم اكن   سلوت ، ولكن زدن جمرا على جمر

واذا كان تاريخ الادب العربي قد حفل بمن اعلـوا شأن الكلاب ، وبمن اهانوها وحطوا من قدرها .. فـان شاعرا عراقيا مـن الشعراء المعاصرين ، نسيت اسمه للاسف ، استطاع بقصيـدة عصماء ان يعيـد للكلاب اعتبارها وان يمسح عن تاريخها كل ما علق بـه من شتم الشاتمين وتحقير المفرضين وعدوان المعتدين ، وان يعلي شأنها بين مخلوقات الله على هذه الارض . بل انه فضلها على الناس اجمعين . وذلك فـي قصيدة نشرتها احدى المجلات العراقية ، واذكر ان اسمها كان « المجلة » ، وما اكثر المجلات التي ولدت في عراقنا الحبيب ، ثـم ماتت وهي في عمر الزهور .

كانت تلك القصيدة العصماء بعنـوان « يا ارض » على ما اذكر ، وفيهـا يخاطب الشاعر أمنـا الارض وينصحها بان تقذف من على ظهرها هؤلاء البشر الذيـن دنسوها بوجودهم .. قال الشاعر :

اقذفيهـم عـن ظهـرك المنهـوك   يـا ابنة الشمس انهـم دنسوك
اقذفـي كـل ناطـق بلسـان   فالألى الناهقون لـن يزعجوك

ثم ينتقل بعد ذلك الى الحديث عـن « الكلاب » فيقول :

قد تناهت وقاحة الناس حتـى   (ابن كلب) غـدت وسيلة سب
اين يا ارض فـي الانام وفـي   يشبه الكلب حافظا عهـد صحب
ليت كـل الاصحاب كانوا كلابـا   ليت كـل الاخوان ابنـاء كلب

هذه بداية صغيرة في الحديث عـن « الادب .. والكلاب » ادفع بها الى صفحات الاديب الغراء ، واتمنى ان تسهم اقلام أهـل الادب في إنصاف الكـلاب وايفائها حقها وابراز مكانها في التاريخ ..

القاهرة   قاسم الخطاط



كتاب « المناسك » واماكن طرق الحج

للامام ابو اسحق الحربي ـ تحقيق الشيخ حمد الجاسر ـ ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير ـ منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض

لقد كنت أحسب ـ كما يحسب غيري من قراء الضاد في أرجاء العالم العربي كله ـ ان استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالما محققا فحسب ، الى ان اكتشفت ان لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعده ايضا عالما من علماء الآثار وعلما شامخا من اعلامها المجيدين، ورائدا من روادها القلائل . فهو ـ كما أرى ـ قد آل على نفسه الا يدخر وسعا في العمل بجد وأمانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتنقيب في المناطق الاثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة في أية بقعة من البقاع وفي أي ركن من ارجاء المعمورة . وهو اذ يمارس هذا العمل الشاق انما يمارسه بفطنة العالم ببواطنه وخوافيه، وبقدرة المتمكن من نفسه ومن عمله ، والمقتدر على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر ان تتوفر لسواه من العلماء في استكشاف تلك الآثار الثمينة القمينة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن ان تقع عليها الا عين بصيرة فاحصة كالتي يتماز بها استاذنا الكبير .

أما الآثار التي كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهي بالحق كنوز مليئة باللآلىء والدرر الغوالي . ثم هو ـ كما هي شيمته دائما ـ لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد ان تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ في تنضيده وترتيبه وازالة ما قد يكون عالقا به من غواشي ويظل يتعهده بعنايته الفائقة الى ان يضع عليه لمساته الاخيرة ويغدو عملا منسقا كاملا فيضعه بين يدي مقدريه في تواضع جبل عليه . وكان ذلك عليه هين لانه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .

واليوم يقدم لنا عالمنا الاثري كنزا ثمينا من الكنوز القديمة التي عثر عليها وحققها ، يرجع اثره الى اوائل القرن الثالث الهجري . فهو للامام ابو اسحاق الحربي عن « المناسك » واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ..

والامام الحربي هذا هو العالم الجليل ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم ابو اسحاق الحربي ، (١٩٨ ـ ٢٨٥ هـ) ، من اعلام العلم والثقافة في القرن الثالث الهجري ، كان جديرا بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لعمق تأثيره في كثير من جوانب الحياة ، في ذلك العصر ، دينية كانت او لغوية او جغرافية . ولد ببغداد واتجه لطلب العلم في سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف ان المرء في ذلك العهد يبدأ اول ما يبدأ في الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للاخذ عنهم . وفي الثامنة عشرة من عمره بلغ في علم الحديث درجة لا يبلغها الا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .

وفضلا عن الصلة التي تربط بين الامام ابن حنبل وبين الامام الحربي من انهما ينتميان في الاصل الى بلدة واحدة هي (مرو) فان نشاط الحربي ، وعلو همته ورغبته في تحصيل علم الحديث مما جعله يتصل بالامام احمد بن حنبل بعد ان تلقى ذلك العلم على صغار الشيوخ ، فكان له ما اراد .

ولقد لازم الحربي الامام ابن حنبل من الثالثة والعشرين الى الثالثة والاربعين في طلب علم الحديث . وعلى هذا يمكن القول بان الحربي قد تأثر ابلغ الاثر في افكاره وآرائه بشيخه الامام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحا فيما أثر للحربي من آراء وافكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما اخرجت بغداد بعد الامام احمد بن حنبل مثل الامام الحربي » .

وكان ابرز جانب نراه في حياة الحربي العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه الى اللغة العربية دراسة وتأليفا ، ولهذا فاننا نرى من ابرز آثاره كتاب « غريب الحديث » ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه ، ومحاولة ايجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار في كتابة اللغة متأثرا بطريقة المحدثين ، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكانت ابرز سمة من سمات حياة الحربي الخاصة اعتزازه بكرامته ، وترفعه بها من ان تنال ، انه يدرك ان العالم يجب ان يسمو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم ، او يحط بقيمته .

وكان رضي النفس كريمها ، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة ، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربي بمظهره الخارجي من حيث اللباس الا انه كان يحرص على ان يظهر بمظهر الكمال من حيث الصفات الفاضلة.

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة ، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم ، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه في التأليف الى نواحي خاصة على نبله وكرم خلاله ، فهو يؤلف عن اكرام الضيف ، وعن ذم الغيبة ، وعن الهدية والسنة فيها ، وعن الحمام (بتشديد الميم) وآدابه .

ولقد ضاعت جل مؤلفاته ، ولم يبق الا اليسير منها مما نجد ذكره مفرقا فيما وصل الينا من المؤلفات التي وصفها الخطيب بأنها كثيرة (١) ، ومنها :

(١) كتاب « اتباع الاموات » ، (٢) كتاب « الادب » ، (٣) كتاب « اكرام الضيف » ، (٤) كتاب « التفسير » ، (٥) كتاب « التيمم » ، (٦) كتاب « دلائل النبوة » ، (٧) الحمام وآدابه ، (٨) ذم الغيبة ، (٩) سجود القرآن ، (١٠) كتاب السروي ، (١١) كتاب « العلل » ، (١٢) غريب الحديث ، (١٣) القضاة والشهود ، (١٤) كتاب « المغازي »، (١٥) كتاب « مناسك الحج » ، (١٦) كتاب « النهي عن الكذب » ، (١٧) كتاب « الهدايا والسنة فيها » .

ولقد ترجم للامام الحربي كثير من المؤرخين منهم :

١ ـ علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه في كتابه « مروج الذهب » .

٢ ـ محمد بن اسحق بن النديم من أهل القرن الرابع الهجري، ترجم الحربي في « الفهرست » .

١ ـ الجزء السادس من « تاريخ بغداد » ص ٢٨ .

٣ ـ الخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ في كتابه « تاريخ بغداد » .

٤ ـ القاضي ابو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلي المتوفي سنة ٥٢٦ هـ في « طبقات الحنابلة » .

٥ ـ ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ ترجمه في كتاب « معجم الادباء » .

٦ ـ ابن القفطي علي بن يوسف المتوفي سنة ٦٤٦ هـ ترجمه في كتاب « انباء الرواة » .

٧ ـ الامام محمد بن احمد الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ترجمه في كتبه : « سير اعلام النبلاء » و « تاريخ الاسلام » ، « طبقات الحفاظ » .

ومما جاء في كتاب « مروج الذهب » ما نصه : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القيادة ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ، وربما مزح مع بعض اصدقائه بما يستحي منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين في وقته ، وظريفهم » ..

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير في نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم في جميع جوانب حياته ، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام ابو اسحق الحربي صاحب الاثر الذي نحن بصدده. اما الاثر نفسه الذي تركه لنا منذ قرون وكاد ان يندثر وتأتي عليه يد البلى لولا ان وقع عليه استاذنا الجاسر فانقذه من الضياع فهو كتاب « المناسك » واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ..

وهذا الكتاب الذي نقدمه للقراء يعد من انفس الكتب التي تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التي تضيف الى ثقافتنا الجغرافية اشياء نافعة حقا . ولها في تراثنا العلمي العربي قيمة علمية كبيرة جدا . اما الميزات التي يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الذي تبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير ـ فهي كثيرة ، اهمها :

١ ـ انه اثر ترجع نصوصه كلها الى القرن الثالث الهجري فما قبله عن علماء ورواة ذوي خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه ومن هنا فانه يعتبر من اصول الدراسات القديمة في تحديد المواضع وفي مختلف النواحي الثقافية التي طرقها الكتاب .

٢ ـ وفي الكتاب تصحيح لمعلومات خاطئة ، واكمال لاخرى ناقصة .

٣ ـ يوضح لنا هذا الكتاب اصول اقوال وردت الينا في بعض المؤلفات بدون ذكر اصحابها .

٤ ـ ويورد معلومات اخرى وصلت الينا من كتب نقلتها سبقت الى ذكرها ، فيوردها بطريقة اخرى تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك فيما اورده متعلقا بتاريخ الآثار المقدسة بمكة .

٥ ـ وفي الكتاب نصوص مطولة ، من كتب مفقودة مثل كتاب « تاريخ المدينة » ليحيى بن الحسين العلوي الذي لم نعرفه الا بواسطة السمهودي مؤرخ المدينة المتاخر .

٦ ـ اما النصوص الادبية الشعرية ، فيوشك ان يكون هذا الكتاب هو الوحيد في جمع ما قيل من الاراجيز . فهو يمدنا بذخيرة طيبة من الاراجيز الطويلة الكاملة في تحديد طرق الحج من العراق الى المدينتين المقدستين ، وهي اراجيز ذات قيمة كبيرة اذ انها تحدد المنازل ، منزلة منزلة ، بحسب سير موكب الحج في ذلك العهد ، وتصف كثيرا من الاماكن وصفا دقيقا مما يزيد قيمتها اللغوية والادبية .

وليس المقام مقام دراسة لمحتويات الكتاب ، وانما المقصود الاشارة الى اهميته اشارة نرجو ان يكون من ورائها ما يحفز الباحثين الى

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

دراسته من مختلف نواحيه . لا سيما وقد بذل استاذنا العلامة الشيخ الجاسر في تحقيق هذا الاثر العظيم ـ الذي يتمثل في مخطوطة فريدة مشحونة بالتصحيف والتحريف ـ جهودا يقصر دونها كل اطراء ولا يبلغ شكرها أي ثناء . فلقد سلك في التحقيق طريقا قويما وبنى عمله في الكتاب على أسس موضوعية متوخيا عدة امور منها :

١ ـ تقويم الاصل ما امكن بالرجوع الى المصادر التي لها صلة بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة الى تلك المصادر .

٢ ـ اضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الامكنة والمواضع ، وبعض الاعلام .

٣ ـ تقويم عبارة الكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الاشارة الى ذلك في الهامش .

٤ ـ ترتيب الكتاب بحيث يفيد منه طلاب التاريخ والعلم والادب اعظم فائدة .

وفي ختام هذا التحليل الموجز لكتاب « المناسك » ، لا يسعني الا ان اسدي الشكر وافرا وجزيلا لاستاذي الجليل الشيخ الجاسر على ما بذل من مجهود صادق في سبيل تحقيق هذا الاثر الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة البالغة حد الكمال والجودة وحسن الترتيب وروعة الاخراج ، وعلى ما تفضل به علينا من زاد ادبي وعلمي ، داعيا له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

الاسكندرية — **عبد العزيز جادو**

•

عبد الرحمن شكري

تاليف الدكتور أنس داود ـ ١١٠ صفحات ـ المطبعة الثقافية ، والهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة

كنت حين تناولت هذه الدراسة ، احسبها من الدراسات الجادة التي تتناول الشاعر : عبد الرحمن شكري ، بما يليق به من التجلة والاعظام ، لا سيما والشاعر ، لم يتناول في زمن من الازمان ، او حقبة من الحقب التاريخية ، بما يفمه حيث هو ، او يبرزه حيث يكون ، شاعرا ، اشير اليه ، أو تعرض له بعض النافثين عليه ، حتى كان ذلك التواري الذي اثره الشاعر ، والانزواء الذي حبب اليه ..

وكان يقيني انني ساطالع صفحات تلمع على جوانبها شاعرية الشاعر ، او جديدا مما فات الدارسين ، او المخلصين لعبد الرحمن شكري ، او الذين كانوا يقدرونه حيا ، ويتناجون بشعره ميتا ، الا انني حين طالعت هذه الصفحات اصبت بخيبة امل مريرة ، وبخاصة والدارس الفاضل يقول : ان هناك عديدا من الآثار الادبية للشاعر ، تنتظر دراسة خاصة ، تكشف عما فيها من قيم فنية ، واصالة فكرية ، وبذلك يوضع شكري ، امام القارىء المعاصر ، وضعا صحيحا ، شاعرا ومفكرا ...

وقد اتساءل ، ومن هذا الذي سيخرج لنا هذه الدراسة ..؟ وفي أي جيل من الاجيال ..؟، الا ان يقيض الله لهذا الشاعر المسكين، باحثا من غير مصر ، يعرف قيمة الرجل ، ويفتن بدراسته ، فيخرج لنا دراسة مستوفاة ..

على ان رأيي في دراسة الدكتور انس لعبد الرحمن شكري في هذه الصفحات ، لا تعدو الترديد لما قاله صديقه : الاستاذ نقولا يوسف في اكثر من مقال من مقالاته الكثيرة عن الشاعر ، او في مقدمته لديوانه الضخم .. فالشاعر ولد في بور سعيد ، وتلقى تعليمه على غرار زملائه في ذلك الحين ، ووجد مكتبة حافلة لدى والده ، فعب منها ما استطاع ، وتمكن من اللغة الانجليزية ، واتجه الى ابن الرومي وابي العلاء ، لما بين الثلاثة من شكوك فكرية ، وقلق اجتماعي ، مرجعه الى الاوهام عند شاعر ، والى الشك في طبيعة الانسان عند شاعر آخر ، او رأي المازني فيه ، او الدكتور رمزي مفتاح ، واغفال الدارسين له ، او هجوم العقاد عليه .. الى اخر هذه الآراء المكرورة التي نقلها الدكتور أنس نقلا دون التعرض لصحتها او مناقشتها ، اللهم الا اذا عن له الاعتراض او التوفيق ، او التراضي عن بعض ما جاء في هذه الآراء ...

ولقد كان يغني في هذه الدراسة ، التي مهدت لشكري ، كما قال الدكتور أنس ، ان يكون متجهها الى ديوانه الضخم ، او دواوينه الكثيرة التي عددها الدارس ، واثبت تواريخها في وجه لا يقبل المماراة .. لكن هل استوقفه ما يستوقف اي دارس لاي شاعر ، حتى من شعراء التملل ، او الذين آثروا نشر الشعر دون ارعواء ..؟

يقول الدكتور أنس ، ان عبد الرحمن شكري ، بدأ رحلته في عالم الشعر بديوان هزيل ، واثبت قصيدة واحدة ، دون ان يلمسها ، او يبين عما فيها من هزال ، الا ان يكون الحسد الذي خلص منه الدارس الى الحالة المرضية التي كان عليها الشاعر .. ، كما ادعى كثير من الادباء ...

« فاذا اتجهت الى تصفح ادواته الشعرية ، وخصائصه الفنية ـ في ذلك الديوان ـ بعد ان ضاقت نفسك بمضامينه التي تترجح بين المرض واللجاجة (ابيات قليلة لا يمكن الحكم عليها) .. وجدت نسيجا نثريا مسطحا ، خاليا من الخصائص الفنية القوية ، التي تفرض نفسها في تكوين الصورة ، وتلوين اللغة ، بل وخلق المعجم الشعري الخاص » .

ويمضي الدارس في الحكم على الشاعر ، حكما قاسيا من غير ان يذكر لنا سبب هذا الوهن الذي استمر في شعر الشاعر حتى آخر يوم في حياته ، او ان يمثل لنا هذا الوهن في بعض القصيد ، ويشرح القوة التي يجب ان تكون ...

« ومما يزيد الطين بلة ـ كما يقولون ـ ان بعض ذلك الوهن يستمر في شعره ، ويظهر على آماد متفاوتة عبر دواوينه .. وتحتاج الجياد من قصائده الى صبر وأناة » .

غير ان الدكتور أنس ، قد شاء الا يخرج الشاعر من عداد الشعراء الذين لهم قصائد جياد ، او « فلذ شعرية » كما يقول .. فعمل « محاولة تصنيفية » : « كباب » و « حلاوة » و « طرشي » و « مهلبية » :

هجائيات ـ شكوى ـ بكائيات ـ اجتماعيات ـ هواجس نفس وتأملات مجردة ، واعقب ذلك بالمعجم الشعري ـ « الذي كان شكري مجردا منه » كما يقول الدارس ... لم يكن لدى شكري ..!! عناقيد من الصور والمفردات اللغوية ذات الدلالة النفسية ولم يكن لديه كذلك : ذلك الاحساس المرهف بموسيقى الكلمات ، وظلالها النفسية والاجتماعية .. ولذلك لم يضف شكري جديدا الى لغة الشعر العربي ... شانه في ذلك شان كبار الشعراء في كل لغة ، حتى ان حساسيته، كانت حساسية معجمية ، لا حساسية نابعة من حياة اللغة على الالسن ، حتى ان كثيرا من الكلمات القاموسية في شعر الشاعر ، موضوعة وضعا لغويا ، لا وضعا شعريا ...!!

واذا جاز لاديب دارس ، ان يرمينا ببعض القضايا ، او يغالطنا في بعضها الآخر ، فلا يجوز له ان يرمينا ببعض الجهل ، او يفرض علينا السجود او الركوع امام ما ياتيه من قول يعوزه الدليل كل الدليل على هذه القضايا التي لا يجوز ، او لا يصح ، ان يرمى بها شكري ، وبخاصة وله محبون في شرق العالم العربي وغربه ، او له تلاميذ ، يغضبون له ، ويدافعون عنه ، او انه لا يعجبني انا شخصيا،

ولست من هؤلاء ، ولا هؤلاء ، ان يقال عن الشاعر ، انه كان جهولا لا يدري ما يأتيه ، او لا يحس بلفظه حين يدخله في شعره ، او هو معجمي ام فني الى غير ذلك من جملة ما ساقه الدارس الفاضل ...

ولقد اتهمت عقلي ، وانا اطالع الصفحة الخمسين من هذه الدراسة ، حيث يقول الدارس : « كان شكري معتدا بكل كلمة يكتبها ، ويظن انها وحي يوحى ، ويرمي بالتهم كل من يرفع اصبعه » غير ان الدكتور أنس ، قد رفع اكثر من اصبع ، وكشر عن اكثر من ناب ، فقد اطرح الكثير من شعر الشاعر .. « واين هو .. » ، واستملح القليل منه ... « واين هو .. . » ...

وسبب هذا ان الدارس يختلف مع الشاعر في : « تفهم عملية الابداع الشعري ..!! » فشكري يرى : ان الشاعر .. لا ينظم الا في نوبات انفعال عصبي ... ، لكن الدكتور أنس ، يعتبر الشعر الجيد، ما يكون وليد لحظة التذكر ... والانفعال لا ينتج الا عواطف هوجاء ، وفكرا مضطربا ، واساليب مباشرة ... الا ان شكري : يعلل ذلك : بأن العواطف تتضارب في قلب الشاعر ، بعد ان تغلي اساليب الشعر في ذهنه ، فلا يزعج نبض هذا التضارب ، طيور الانغام الشعرية التي تفرد ، وتتدفق بعدها الاساليب الشعرية كالسيل ، من غير تعمد لبعضها دون بعضها ...

ولم يفت الدكتور انس ، ان يلقي لمسات على مختارات الشاعر.. ، ويحلل الصورة والبناء .. ويثبت بعض الامثلة ، وينظر في النسق الموضوعي ، ويعرض للقصيدة من حيث انها مخلوق مستقل عن ذات الشاعر .. لها حياتها الخاصة ، وكيانها المتوحد .. ويتجه الى التجارب والقضايا التي ترك شكري بصماته عليها .. ثم يحلل شكري: نفسا انسانية ، لها رهافة حسها ، وعمق احساسها ، وان كانت ضآلة الادوات الشعرية التي يمسك بها الشاعر ، بمانعته من التعبير عن ذلك الحس ، او ذلك الاحساس الذي لولاه لما كان شاعر هناك يقال له : شكري .. شغل الحياة الادبية ، وما زال يشغلها حتى تنقضي هذه الحياة ، ومن فيها من الادباء والدارسين ...

وقد تناول الباحث ازدواجية الوجود الانساني عند شكري ، وناقش رايه فيها ، ووازن بينه وبين نسيب عريضة ، ونفى عنه تأثره به ، ووضع الشاعر بين ميخائيل نعيمة وجبران وابي ماضي في مذهب هؤلاء ، وهل كان محور الشعر عنده ، ذاته القلقة المتوترة المتألمة المحدودة بعالمها الفردي الخاص .. ام تلك الذات العميقة ...؟

ولا جدال في رأي الدكتور أنس ، ان يصور الشاعر نفسه ، كما يجدها ، وان كان على الشاعر ، ان يقدر المشكلة ذات المساس بما يعني الانسان من قضايا الوجود ...

ولن أنسى في هذه النظرة المجلى ، ما القاه الدارس من ضوء على شعر الطبيعة عند عبد الرحمن شكري ، او الوهج الذي احاط به « المطلق » في قصيدة الشاعر .. « الى المجهول » .

وايا ما كانت هذه الدراسة التي ظهرت في هذا الموسم البارد الذي يحتاج الانسان فيه الى الدفء ، فحسبها ان تكون مقدمة ، او باعثة ، او محركة لتلميذ او محب ، لينظر في عبد الرحمن شكري ككل ، ويدرس ديوانه الضخم ، دراسة مستانية ، تقف والدراسات الجادة وجها لوجه ، ان لم تناوحها ، او تفوقها كما وكيفا ...

وليس عبد الرحمن شكري بالشاعر المنكور ، حتى تكون له هذه العجالة التي يصح ان يتناولها التلاميذ داخل حجرات الدراسة ، لا ان تكون حكما للتاريخ ، او مرجعا للباحثين في اي عصر من اعصر الادب ، مهما كانت التعلة ، ومهما بدا من اعذار ...

اما الدكتور أنس ، فحسبه كذلك ، ان يكون رائدا ، ومثوبته في هذا التذكر ، اكبر ، في رأيي ، من الذين يأتون من بعده ، فيبعثون في الشاعر روحه ، ويضعونه على صفحة الوجود ، وان كان هو ، قد وضع نفسه منذ زمن بعيد ...

القاهرة — ابو طالب زيان

كتب جديدة

١ ـ مكانة القدس في الاسلام

تاليف الشيخ عبد الحميد السائح ـ ٥٩ صفحة ـ حجم متوسط
الناشر لجنة انقاذ القدس المطبعة الحديثة في عمان

حملت النخوة العربية والغيرة الاسلامية سماحة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية السابق وعضو « لجنة انقاذ القدس » على اعداد دراسة شاملة قدمها الى مجمع البحوث الاسلامية في الازهر الشريف ، وفيها ساق سماحته الادلة على الارتباط الوثيق الذي لا انفكاك له بين القدس والاسلام من الناحيتين الدينية والتاريخية ، استنادا الى العديد من آي الذكر الحكيم والاحاديث النبوية ، فضلا عن معالجة البحث للكثير من القضايا الهامة التي تؤيد ان العرب هم بناة القدس الاوائل ، وان الوجود العربي فيها وفي كل فلسطين موغل في القدم واسبق من الغزو اليهودي القديم لبعض اجزاء جبلية من فلسطين واسبق من اي غزو اجنبي آخر قديم ، كما ان هذا الوجود (١) العربي فيها اسبق من ظهور الديانتين المسيحية والاسلامية .

وبالنظر لخطورة الموقف الذي تجتازه قضية فلسطين على العموم وقضية بيت المقدس على الخصوص هذه الايام قررت « لجنة انقاذ القدس » في عمان نشر وتعميم الدراسة التي وضعها سماحة الاستاذ السائح ، على الاوساط العربية والاسلامية ، ولعل « لجنة انقاذ القدس » تبادر الى ترجمة هذه الدراسة الى اللغات الحية تعريفا بقضية فلسطين ، ودحضا للمزاعم الصهيونية ، وكشفا عن حقائق تدحض الاباطيل الصهيونية التي روج لها الدعاة المأجورون وحملوا العالم على قبولها والاذعان لها .

وفي هذه الدراسة عالج سماحة المؤلف الموضوعات التالية :
١ ـ التعريف بمكانة القدس في الاسلام ، ٢ ـ اسم القدس ، ٣ ـ القدس قبل الاسلام وبعده ، ٤ ـ الاسراء والمعراج ، ٥ ـ صلاة المسلمين الى القدس ، ٦ ـ مضاعفة ثواب المصلى في مسجد القدس، ٧ ـ المسجد الاقصى ، ٨ ـ البراق والمبكى ، ٩ ـ الستاتيكو (بقاء القديم على قدمه) ، ١٠ ـ القدس في عهد الانتداب البريطاني ، ١١ ـ القدس في العهد الاردني ، ١٢ ـ القدس في عهد الاحتلال اليهودي .

٢ ـ ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ؟

تاليف الشيخ عبد الحميد السائح ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم متوسط
الناشر مطبوعات دار الشعب بالقاهرة ـ مطابع دار الشعب

عرف سماحة الشيخ عبد الحميد السائح في كافة مراحل عمره بايمانه القومي وبمجاهرته بقول الحق . ولقد استهل كتابه القيم « ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ؟ » باهدائه الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وكان تقديم الكتاب بقلم فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر الدكتور محمد محمد الفحام وتلاها تقديم بقلم المجاهد اللواء محمود شيت خطاب ، نوه فيه بمكانة سماحة الشيخ السائح وبخطورة كتابه عن القضية الفلسطينية وشرح موضوع المقدسات الاسلامية والمسيحية واليهودية في الارض المقدسة وما يتعلق بكل ذلك من تشريعات على وجه قد لا تجده مفصلا في غير هذا الكتاب . ولعل اهم ما عالجه سماحته الاسباب الحقيقية التي تفضي الى احراز النصر ، وذلك

---

١ ـ طالع ذلك بالتفصيل في كتاب « عروبة فلسطين والقدس قبل الاسلام » لمعالي العلامة الاستاذ محمد اديب العامري .

باختيار الحكم الصالح القائم على عقيدة الشعب وموضوع الشخصية الفلسطينية بشكل موضوعي بعيد عن النزوات والاهواء والعمل الفدائي الفلسطيني .

وبعد ان صور سماحة الاستاذ السائح الاخطار التي تستهدف الاماكن المقدسة من اسلامية ومسيحية في الارض الطهور ، ونبه الى نوايا الصهيونية في ازدراد فلسطين وتهويد مقدساتها والقفز الى الضفة الشرقية والتوغل في الخليج العربي المنتج للبترول أهاب بالعرب في كل مكان لوضع كافة الامكانات العربية في سبيل المعركة المصيرية ، وبالشعوب الاسلامية للتنبه الى ضرورة العمل الجديد اذ ان المخطط الصهيوني يعني اعادة بناء الهيكل على انقاض الاقصى ، وبالعالم المسيحي ليتنبه للخطر المحدق بمقدساته وعقيدته وديانته نتيجة للوجود الصهيوني الجاثم على الاراضي المقدسة ، وبالضمير العالمي ليعرف اسرائيل والصهيونية على حقيقتها .

واذا لم يقض على الصهيونية ومبادئها الهدامة ، فعلى الحضارة والانسانية ومبادئها وقيمها السلام والعفاء !

٣ ـ ابـــن سينـــا

تاليف البارون كارا دوفو ـ نقله الى العربية المرحوم عادل زعيتر ـ راجعه وفصل فهارسه وابوابه وقدم له الاستاذ محمد عبد الغني حسن ـ ٢٩٥ صفحة ـ حجم متوسط ـ الناشر اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ مطابع دار بيروت للطباعة والنشر

هب نفر من اعلام المستشرقين الى انصاف نفر من فلاسفة العرب والمسلمين فاشادوا بفضلهم ، ونوهوا بعلمهم ، ووضعوا عنهم الدراسات القيمة ، وفي طليعة منائر الفلسفة الاسلامية « ابن سينا » (٩٨٠ ـ ١٠٣٦) الفيلسوف والطبيب المسلم ، الملقب بالشيخ الرئيس .

ومن الذين استهواهم علم ابن سينا ورجاحة عقله المستشرق الفرنسي البارون كارا دوفو الذي عني بالدراسات العربية عامة وبالفكر الاسلامي خاصة ولا سيما الفلسفة والعلوم الاسلامية . ومن مؤلفاته في هذا القطاع « مفكرو الاسلام » و « ابن سينا » و « الغزالي » ودراسة بعنوان « الحكمة الاشراقية » للسهروردي (١١٥٣ ـ ١١٩١) .

ظهر كتاب « ابن سينا » في مجموعة « الفلاسفة العظام » في باريس عام ١٩٠٠ وبعد ان اطلع عليه فقيد العرب والاسلام المرحوم عادل زعيتر ، وهو الناقد الذواقة في اختيار شوامخ الكتب الموضوعة باللغة الفرنسية ، انكفأ على مطالعته وشرع في نقله الى اللغة العربية وضمه الى مجموعة مترجماته التي زود بها الخزانة العربية ايمانا منه بان من العار ان تخلو المكتبة العربية من ترجمة لكتاب « ابن سينا » الذي وضعه مفكر اوروبي مسيحي لفيلسوف مسلم ، وبعد وفاة « عادل » عام ١٩٥٨ قررت « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » مشكورة طبع كتاب « ابن سينا » تكريما لرائد من رواد العرب في القرن العشرين .

وما دامت الصدفة قد اتاحت لنا في هذه المجلة ذكر عادل زعيتر الرائد العظيم الاول في حركة النقل المعاصر اود ان اسال الصفوة المختارة من ادبائنا وحملة الاقلام في البسيط العربي كم كتابا قرات من الكتب التي تصدى عادل زعيتر لنقلها من الفرنسية الى العربية ؟ وكم هم الوزراء والساسة العرب الذين عرفوا عادل زعيتر عن طريق الكتب التي ترجمها من لغة راسين وروسو وهوغو الى لغة الضاد ؟

رحم الله عادلا فقد اثرى الخزانة العربية بشوامخ كتبه ، وهو على علم بان الجيل الطالع سيتهرب من مطالعتها .. لدسم مادتها ! وغفر لمن الهاهم بهرج الحياة وعرضها الزائل عن مسامرة « عادل » في تلك الصفحات المشرقة التي فاض بها قلمه ، غيرة منه على امته ، ورفدا لادبها وغذاء لتراثها !

٤ ـ قضايـــا ومجامـــر

لثريا ملحس ـ ٢٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مؤسسة خليفة للطباعة والنشر ببيروت

هذا ديوان جديد للاستاذة الشاعرة ثريا ملحس ، اكملت به العدد السابع عشر من آثارها القلمية المطبوعة ، وقدمته تحية لمجلة «الاديب» الراقية ولمؤسسها الاستاذ الكبير البير أديب ، العامل في صمت وهدوء ، بمناسبة مرور ثلاثين عاما على ولادتها !

عرفت الاستاذة ثريا منذ عهد بعيد ، وعرفت فيها العزوف عن الحياة والناس ، ايمانا منها بان الحياة اناء من الفضة البراقة ... مترع بالسعالى والفيلان ... وان الناس طغمة مطبوعة على الشر والحسد ، مجبولة بالدس والنفاق ... وكلما أكدت الايام صواب نظرتها الى الحياة والناس ... جنحت ثريا الى التشاؤم وصبغ نفثات قلمها بتلاوين سوداء فاحمة !

وديوان « قضايا ومجامر » يمثل المرحلة التي تقع بين اعوام (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦) او قل مرحلة عشر سنوات من عمرها المديد ، وفي سائر أناشيد الديوان تلمح شاعرة روحية راحت تخاطب ربها بشعر يتنزى ألما ، ويقطر دما ، ويفيض دمعا ... وفي كل نشيد ترى عينين قرحهما البكاء ، وتسمع صلاة امتزجت بالآهات والانات ، وتلمح يأسا خالط الكفر بالحياة وأناسيها !

« أنا في الوادي تحيط بي الروابي ، فوق الروابي ناي حزين يذكرني بحاضري ، بمستقبلي . على الافنان كواكب حطت من الفضاء !
اهيم في الجبال اناشيد الازل ، اسرح في السهول ظلال الشجر ،
ازحف على الصخور همسات الاهداب ، أهات .. عبر بحيرتي !
اشرد بعيدا يا زورقي خوفا من فكي غول ، اشرد بعيدا ، بحيرتي

بلا شواطىء ، شراعي احترق ، اقسمت ان ابقى في الغابات بلا رقيب ! »

« ابك معي يا بؤس على البؤس ! ابك معي يا مقهور على ظلم البشر !

الحياة ... ما الحياة ؟ تعب العمر على الكاهل ! العمر ... ما العمر ؟ سلاسل الموت في القدم . في سجون كلنا وفي الموت سكون !

ابك معي يا اخي ، ابك علي ، عليك . ما احقر الانسان ! ما احقر الوجود بلا محبة ، بلا سلام ! »

خذ بيدي الهي ، خلصني من براثن الارض ، وافاعي الشجر ، احملني على اجنحة الامل ، بلادي ظلام دامس ، على رأسها راية خيوطها من لحمة الخوف وسدى الجهل !

يا الهي ، اطفىء شموسك ، دعني في هدأة الليل سامرة . دع غلائل الليل تغمرني ساهرة ، كما تغمر اوراق الخريف والغيمة الساهمة !

احملني بعيدا يا الهي الى الفضاء اللامتناهي ، اعدني ذرة في الغيوم ، ذرة في التراب ، ذرة في النور !

ماذا ارتجى ؟ كل ما حولي يموت عضوا فعضوا ! لي أمل بأمسي، وغدي لا يحيا ، في دروبي أهوال وآلام ، تلال على ظهري !

اعطني المسوح يا اختاه ، اعطني المسوح ، فانا حداد على البشر، لن يرعوي البشر ، لن يسعد البشر ، لن يرعوي ، لن يسعد ، غربي يا نفسي ، شرقي يا نفسي ، سيري حيثما شئت ، اعبثي بالنسيج ، غيري ما شئت ان تغيري ! »

وتمضي ثريا في نشيجها ، ودفقات عينيها تغمر صلوات معبدها :

« هلي يا عيوني ادمعا ، اسكبي يا سمائي انهرا ! هدئي قلبي الكليم ، ضمي جراحا ، لفلفي روحي الحزين ، شدي جناحي ، انثري على برجي الاقاحي ، احتويني يا فكرتي في ذراعيك ، دعيني انم في جفنيك ، تعبت من السرى ، تعبت من تغريبتي ، لا تجعلني اللاشيء يملأ فراغي ، لا تقولي التلاشي يمحو الحياة ! »

ورغم ايمانها بالله واعتصامها بحبله ... تمضي ثريا في تساؤلها :

« لم قلبي فراغ ؟ لم صدري واد وواد ؟ دروبي كلها تلتوي كالسراب ... آهتي من منبع الشمس تغلي ... تفور ... كالضباب ملفوف غدي ، كاليباب لا يهتدي ، الامل يخط ، الضلع مني غياب !

أحمل اليراع ، تكل اناملي ، تكبر ... تكبر ... النور مخلخل ينوس في عيني ، تنحني الرؤى ، الرؤى ذواب ! »

ان في بلادنا حفنات عطرة من اديبات موهوبات حملن قيثارة العزاء في ليل امتنا المدلهم ، ورفعن صلبانهن تعبيرا عن المحنة التي تكتنف امتنا ... وفي طليعة هذه الحفنات المباركات ثريا ملحس واسمى طوبي وسلمى الحفار الكزبري والدكتورة عزيزة مريدن !

٥ ـ صلوات في معبد مهجور

لخالد سعود الزيد ـ ١١٠ صفحات ـ حجم صغير ـ الناشر مكتبة الامل بالكويت ـ مطابع الرسالة بالكويت

تربطني بالشاعر الكويتي الاستاذ خالد سعود الزيد صداقة لحمتها وسداها مودة بريئة لوجه الله ، لكن ماخذي الوحيد عليه .. كرم دافق برسائله حينا .. وامساك اطول من ليل الراهب ... حينا آخر ... وعندما يغل خالد يده عن التراسل ... أقول في سري : هناك « قنبلة » ادبية يجدل خالد فتيلها ... وما هي الا ايام حتى يحمل الي البريد أثرا ماتعا من آثار قلمه !

آخر ما صدر لشاعرنا « ابي سعود » ديوان اسماه « صلوات في معبد مهجور» وقبله اثرى الخزانة الادبية بثلاثة من شوامخ الكتب هي :

١ ـ من الامثال العامية (١٩٦١) ، ٢ ـ ادباء الكويت في قرنين (١٩٦٧) ، ٣ ـ خالد الفرج : حياته وآثاره (١٩٦٩) .

وتقديرا منه لنجية قلبه ، ورفيقة دربه ، اهدى خالد « ام سعود » ديوانه الجديد بكلمات تنضح وفاء وعرفانا بالجميل :

« الى التي وهبت كلماتي الحياة ... واضاءت بمشاعل الامل دروبي !

الى زوجتي وام ولدي « سعود » و « وضاح » أهدي هذه الكلمات ! »

اول (صورة) تواجهك في الديوان (الله) وقد حلق فيها « خالد » تحليق شاعر مؤمن بربه ، مفتون بما اغدق على عباده من آيات صنعه :

وقفت مبهوت الرؤى حائرا   كحيرة المحزون في كربه
أقلب الطرف بلا آخر   اجوب هذا الشرق مع غربه
ابحث عن ذي خبرة عالم   يكشف لي المكنون من غيبه
اسأله عمن أشاد السما   من اوجد الكون على ما به
من أحكم الافلاك في سيرها   من سير المخلوق في دربه
من انبت الاعشاب في برها   من اطلع المكموم من حجبه
من فجر الصخر فسالت به   أودية تفرف من غربه
من انشأ السحب ومن ساقها   للنازح المنسي من ركبه
من ألهم الشاعر أشعاره   فباح بالاسرار من قلبه
من علم الطير تفاريدها   من اكرم الانسان في لبه
أسئلة طار بها خافقي   وحار فيها الفكر من رعبه
فصاح بي في غفلتي هاتف   يا ايها المسحور في ريبه
انظر ، تجده الله ، آثاره   ملموسة تنطق عن قربه

ويحتل « سعود » و « وضاح » ولدا الشاعر حبات قلب والدهما ... فهما مناط امله وموئل رجائه . وفي احدى صور الديوان يخاطب « سعودا » ريحانة قلبه بقوله :

على وجهه صورتي لو يعي   وفي مقلتيه صدى منبعي
وفي شفتيه انسياب الجمال   نسيما يجنح في اضلعي
وفي صوته بحة حلوة   هي النغم الفرد في مسمعي
يردد لحني ويزهو به   على تربه ، وعلى المجمع
ويجلس مثلي اذا ما جلست   ويعجبه حين يلهو معي

ويؤلمه انني لا أحس اذا ما دعاني ولم اسمع
فيضربني لاهيا زاهيا ويطرحني كي يرى مصرعي
ويغضب ان هاجني صاحب فيملكه هاطل الادمع
فيا ما احيلاهما قبضتين هما موئلي في الغد المفزع
وان ردد القول لي « يا أبي » أجبت : نعم يا حشا اضلعي
فيزهو ويفتر عن مبسم هو الدر في شكله الاروع
ويبدي دلالا ويملي كما يشاء له خاطر لو دعي
فامنعه تارة عن هواه وطورا أجيب ولا أدعي

ولم ينس « خالد » وهو الشاعر الذي لم يلهه بهرج الحياة وذهب الكويت الاسود ما يبلو (العامل) البائس المسكين من آلام الحياة وتباريحها ... ليؤمن بلغة العيش ... وليظل طيلة يومه يصارع الحياة ... ويواجه الموت ... حتى يؤمن الرغيف مغموسا بقطرات دمه ، ودفقات دمعه :

اقسمت ما التاريخ غير اهابه فالمجد كل المجد في جلبابه
لا تنكروا ثوبا عليه ممزقا فلرب قصر شيد من اسلابه
لو جمع التاريخ كل فخاره عاد الفخار اليه باستنسابه
من كان يستهويه منظر ماجد فلينظرن اليه نظرة نابه
قسماته تنبيك مبلغ عزمه في النائبات ومدلهم صعابه
متصبب عرقا كان جبينه نضحت عصارة روحه بحبابه
فلرب ينبوع تفجر ماؤه في ضربة من فأسه وشبابه
فالخصب من كفيه الا أنه ما نال من كفيه غير عذابه

ان « خالدا » شاعر بدوي ، خلقه الله من اريحية وسخاء ، وطبع شعره بميسم الصراحة ... فنبع وحيه من نفس ثرة صافية ، وجاء منظومه وحي بيئة عربية لم تتأثر بمغريات الحياة ... ولم تحن الهامة لاعراف اعجمية وتقاليد مستوردة !

٦ ـ نظرات في الكتب

تأليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١١٢ صفحة ـ حجم متوسط ـ مطبعة دار البصري ببغداد

اشتهر الاديب الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين باقباله على المطالعة وشغفه باقتناء الكتب وهضمها ... وفي بحر العام الفارط صدر بقلمه كتابه « نظرات في الكتب » وقد استهله بكلمة اهداء رقيقة الى كريمته « أيام » ثم أخذ يتحدث حديث الواعي عن كتب صنفها نفر من ادبائنا المعاصرين وكان اول كتاب تناوله بريشته الساحرة « الادب للشعب » للكاتب الاجتماعي الكبير سلامة موسى وكشف عن المتعة في هذه الطرفة الشعبية ، وبعده تناول ديوان « حصاد الذكريات » لشاعر الشهباء واديبها الكبير الاستاذ عبد الله حلاق صاحب مجلة « الضاد » وكشف عن خصائص شعره وبراعة وصفه ورقة غزله وتغنيه بعروبته !

وكان الكتاب الثالث الذي عرضه الكاتب النابه بقلمه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » لصديقنا الشاعر الذائع الصيت والصوت الاستاذ جورج صيدح الذي جاء كتابه هذا معلمة كبرى في أدب المهجر .

وعرض اديبنا الكبير الاستاذ وحيد الدين كتبا ودواوين اخرى وختمه بفهرسين للاعلام والاسماء والموضوعات .

٧ ـ شخصيات من الادب المعاصر

تأليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١١٩ صفحة ـ حجم متوسط ـ مطبعة الضاد بحلب

وحمل الوفاء أخانا الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين على دراسة ادب عشرة من اخوانه الادباء المعاصرين ، وبعد لأي تناهى امر هذه الدراسة القيمة الى الاستاذ الغيور عبد الله حلاق صاحب مجلة « الضاد » الحلبية فبادر الى طلبها من صديقه الاستاذ وحيد الدين ، ومهد لها بمقدمة نفيسة اشتملت على مزايا الاستاذ بهاء الدين وسيرة حياته وآثاره القلمية ، وسرعان ما دفعها الى صفاف الحروف في مطبعة « الضاد » وحزمها في عدد ممتاز من مجلته الراقية وقدمها هدية لقراء مجلته .

كان اول اديب توفر الاستاذ وحيد الدين على دراسة ادبه الشاعر جورج صيدح ، فتحدث عن جزالة شعره ورقة اسلوبه . ثم تناول من بعده أدب الدكتور حسين فوزي وأشاد بما قدم للحضارة من خدمات ، ثم انبرى يطري عبقرية الاستاذ شفيق معلوف « شاعر عبقر » ووقف مليا أمام فيض شاعريته وسمو خياله . وفي هذه الدراسة الماتعة لم ينس صديقنا الكاتب البارع الاستاذ وديع فلسطين او على حد تعبير الاستاذ وحيد الدين « جوهرة ادبية من عيار فريد خاص لاصالتها الواغلة في اغوار كيانه » فأشاد بادبه ونوه بما يمتاز به نابغة عصره من عمق في التفكير ، وبراعة في الترجمة ... هذه الترجمة الرفيعة التي لا يضارعه فيها الا القلائل .. القلائل ... في العالم العربي !

ولم ينس الاستاذ وحيد الدين ، وهو الصفي الوفي لاخوانه ، التنويه بآثار اديبنا الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن الذي اثرى الخزانة العربية بعشرات من الكتب القيمة ، وله في كل ميدان من ميادين العلم والثقافة والفن صولات وجولات موفقة. وهو كالاهرام في علو خلقه ومتانة لغته ورسوخ قدمه .

ويمضي اخونا الاديب الاستاذ بهاء الدين في الحديث عن اخوان ادباء بلغوا القمة في آثارهم كالاساتذة ناجي جواد وابراهيم محمد نجا والدكتور حسين مجيب المصري .

مد الله في عمر اديبنا الاستاذ وحيد الدين وابقاه منارة من منائر الفضل لينصف بقلمه اخوانا زهدوا في الحديث عن انفسهم !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم